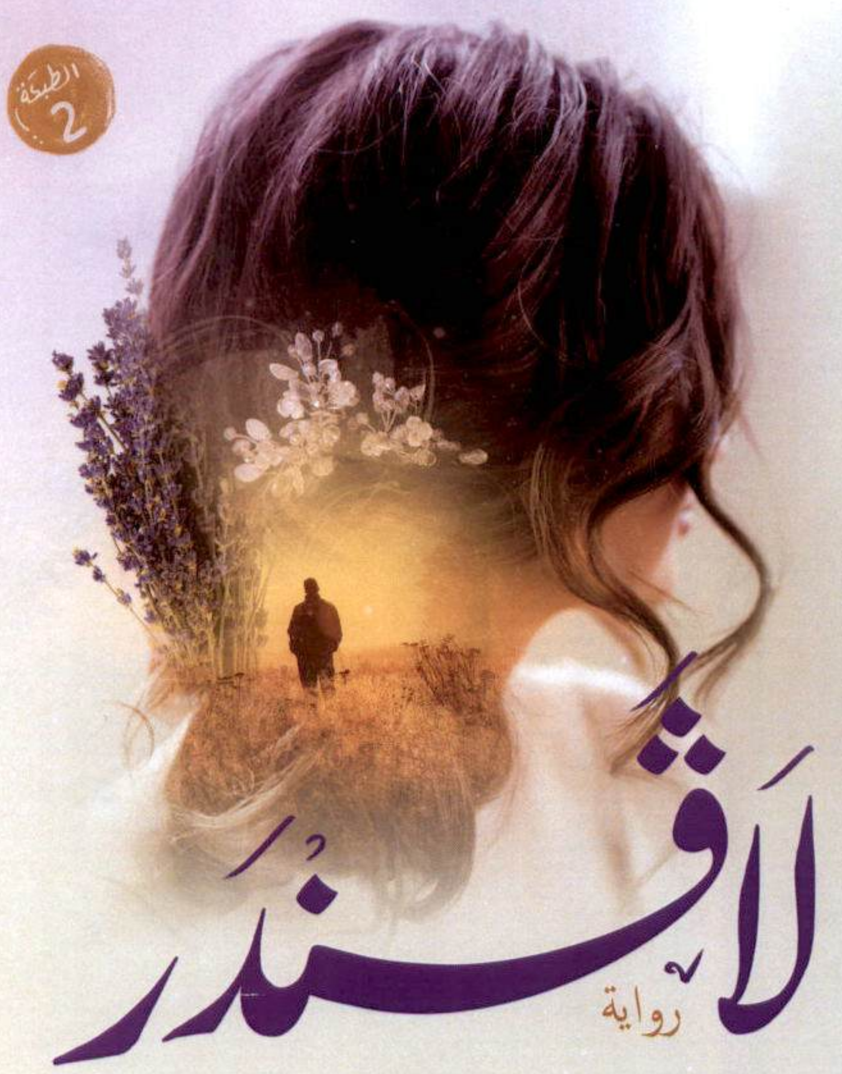


لافندر

رواية

نرتقي بالخيانة

يامي أحمد

دار اكتب

لافندر

لافندر

نرتقي بالخيانة

يامي أحمد

الطبعة الأولى ، القاهرة 2018م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 1572 /2018

I.S.B.N: 978-977-488- 543-3



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة . مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

لافندر

نرتقي بالخيانة

رواية

يامي أحمد



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى سري وسحري ، وسيدة أحلامي البعيدة.

بطلة روايتي القادمة "أحببتك لينا"..

إلى..

لينا...



يامن

أصواتهم مقززة تخترق مسامعي ببطء، لا تعجبني الضحكات الفارغة، جميعهم موجوعون بالوطن ولا يعرفون شيئًا عن الوطن، احتضنتهم الملذات بجموحها الآخاذ دون حسيب، تدور حياتهم بين الدراسة والسذاجة، أسهل طريقة لنسيان الوجع والقفز عن الحنين، الغرق في الشهوات والانخراط في الصحبة الباهتة التي مجمل أحاديثها حول الأعضاء التناسلية.

أسوأ نماذج الغربة، أولئك الذين هربوا في بداية الوجع، هربوا وجيوبهم تتساقط منها الأموال،كل ما يربطهم ببلادهم، قلادة أو أغنية باردة، يتمرغون في رفاهية التعاطف الموضعي الذي يغدقه الأنصار، سرعان ما تستقر أمورهم، سرعان ما يعودون إلى حياتهم الطبيعية، أقصد حياةً أكثر جموحًا من حياتهم العادية.

يفصل بين غرفتي وغرفة صديقي حائط وعشرات الخلافات.أسمع من وقت لآخر أصواتًا تلوث روحي، ضحكات نساءٍ سطحية.تأوهات وجع يفسد الفطرة السليمة، صديقي يصلي ودافعه الوحيد الفوز بحسناتٍ تمحي سيئاته،

يزداد إيماني بأن الحياة شر نقاتل كثيرًا ليبدو خيرا، شر مطلق.

أما غرفتي، جدرانها تغزوها الصور افتراسا، لا أدري لماذا أضع صورة جيفارا بجانب ممثلة نصف عارية، وما علاقة هتلر بغاندي؟ هل يُفسر هذا كمرض؟

النساء اللواتي نحبهن يذهبن إلى أحضان الريح، لسنا مقاتلين بما يكفى لتفتح السعادة لنا يديها وتتلقانا من سقوطنا الشاهق،عظامنا القاسية تؤكد هشاشة الروح وخداعة القلب، القلب يجيد الخيانة أكثر ما يجيد الحب، القلب يحمل كل مساوئنا برفق الغيوم حاملة الندى وما أن نصطدم بالمواقف الصلبة كالجبال،يخلع القلب قناعه ويترك الغضب يسوي المسألة..

النساء اللواتي أحببناهن كن أجمل منا، أرق منا، كان ضياعهن التفسير المنطقي لضياعنا في غياهب الزمان.

لو تتاح لنا العودة موضع خطوة على الساعة، لما تركناهن،لما أبكيناهن،لما سمحنا للاحتملات والهواجس باغتيالنا، لما ظل هوس الأفضل يثير جنوننا جرعة بعد جرعة.

لو يعود بنا الزمان خطوة للوراء لكنا جميعًا في الحب أقدس من الصوفيين والقساوسة، لكن الرياح أبت أن لا نكون إلا ذئابا، كل ما نحترفه هذه الأيام هو التصابي على النساء، والتعامل معهن بمنطق الصيد،

نغير جلدنا كالأفاعي وما أن نتمكن حتى ننقض عليهن ونعصر قلوبهن كفاكهة شهية.

أخي الكبير.. رجلٌ معروف بين أصدقائه بالتدين والاعتدال، متزوج من ثلاث نساء، اثنتان أرامل شهداء،

لا أدري كيف يشعر الشهداء في قبورهم وزوجاتهم ينكحهن رجال غيرهم، هل يغارون؟

لا أدري، سُنة الحياة والشر، تشفق نفسي على نفسها كلما ابتسمت، وتنهار بعد سماع قصة امرأة ذبلت وتبدلت إثر بطولة ارتكبها صديق، ليست البطولة ذات معنى إيجابي، الكثير من الأفلام أبطالها لصوص وتجار بشر.

أنا خائنٌ مثل أصدقائي..

سارة

أما أنا، مترفة الدلال، أنال ما أريد وكل ما أريد لا تعجيز فيه، أبي يحبني لهذا السبب، دائمًا أحصل على ما أود، السر بسيط، أطلب كل ما هو سهل وغير معقد، لا أحبذ أن أكون مع والدي على المحك، لا أريد أن يكون تحقيق رغباتي ثمنًا ليثبت أحدهم أني على قلبه عزيزة، أنا هكذا اخترت بنفسي أن أدلل نفسي، وأنّ أكون بين اخوتي محبوبة والدي، فتاته المدللة.

لا أنسى كيف غاصت عيون أبي بدموع الامتنان. في ذلك اليوم العظيم، كنت أدخر مصروفي واشتغل بالصوف أكثر من ستة شهور، أبي كان يعلم ذلك، ذكرت أمام أختي لينا رغبتي باقتناء هاتف محمول بمواصفات ذكية. عائلتي ليست ثرية، ربما فقيرة، لكن أبدًا لم تعتبر نفسها من الطبقة الفقيرة.

تهتم جدًا بمظهرها أكثر من طعامها. لا أرى هذا عيبًا، على الأقل هذا يُبعد عنا عين الشفقة، لا أحد في البيت لديه هاتف متطور، لدينا انترنت بالفعل، إطلالتنا على العالم لا تلوثها دراما الفقر، لم نختر أن نكون فقراء، لكن اخترنا أن نعيش أمراء. شبه مستحيل بالنسبة لوالدي تغيير هاتفه الذي يشكو المتصلون من ضعف صوته. أكملت المبلغ المناسب واشتريت الهاتف، في الواقع لم أقتنيه لنفسي، كنت سأهديه لأبي، لكن ما حصل أن الليلة التي اقتنيت فيها الهاتف، لم تكن ليلةً روتينية، ناداني بفرحٍ والدي وقال:

- إلك عندي مفاجأة يا صبية.

أسعدني جدًا ذلك، أنا أحمل له مفاجأة أيضًا، ما حصل أن والدي عندما علم من أختي برغبتي، ادخر هو أيضًا ماله، وعمل لفترات أطول كي يهديني هاتفًا ذكيًا ويرحمني من عذاب الصوف، أهلي يعرفون أني لا أعمل حبًا في هذه الهواية المملة، الحاجة وحدها ما تدفعني، أتمنى مثل كل النساء، العيش أميرة للأبد، أنا لا أحب الفقر ولا القناعة.

أخرج والدي الهاتف مبتسمًا وقال:

- فيش داعي تدبحي عيونك بالليل مع الإبرة والخيط عشان تشتري هالجوال، جبتلك إياه هدية.

شهقت من صدمتي، أغارت يداي واحدة تلو الأخرى على فمي، ابتلعت صوتي، أنا لم أبذل كل هذا المجهود حتى أشتري لنفسي الهاتف.. بل لأبي، شعرت برجفة شديدة وجميلة في آن واحد، أرخيتُ يدي، أخذت شهيقًا ورفعت معه رأسي للسماء، لم أركض لحضن والدي لأقبله، أسرعت إلى غرفتي، لمحت لثوان آثار الصدمة على وجه والدي قبل التفافي، لم أبالي، لم تُوقفنّي ملامح وجهه تلك اللحظة، انبثقت من جوفي ثورة على الحنين، لم تدم طويلًا، ثلاثين ثانية على الأكثر، أخذت الهاتف الجديد الذي اشتريته لوالدي وأسرعت إليه..

- يا با أنا ما كنت بدي الجوال لالي، بدي اياه لالك، واليوم جبته عشان أعطيك اياه هدية بدل جوالك.

كانت صدفة أن نشتري أنا وأبي الهاتف في نفس اليوم، أعجب صدفة مرت بحياتي على الرغم من بساطتها. هامت الدهشة على أبي أكثر، لم يسعفه الكثير من الكلام، خير الكلام ما تقوله النفس وتفعله القبلات والأحضان. طبع قبلة على جبيني وحضنني بقوة لفترة طويلة. منعني من رؤية دموعه، لكن قلبي رآها..

***

يامن

البيت الذي يحملنا نحن الثلاثة لا يُطاق، قد تتراكم القمامة في المطبخ لأسابيع وربما شهور، نتعالى عن رفع القمامة بينما قد نصرف نصف النهار بتهذيب مظهرنا قبل الخروج، نحن بالاجماع نُرضى شهواتنا بلا حدود، نوليهن نخبة اهتماماتنا.

أسعد اللحظات كما يصفها محمود باستمرار، التي تأتي فيها امرأة لزيارة البيت، نعمل كخلية النحل، لا نلتقط أنفاسنا حتى يُصبح البيت أنظف من غرف المختبرات الطبية وصالونات الحلاقة الفاخرة.

نسكن في الطابق الأخير، غرفتي لها شرفة كبيرة، أستطيع من سريري رؤية ما مداه أكثر من أربعة كيلو متر، أتذوق يوميًا حلاوة الفجر وشروق الشمس، الصباح وشقاء النهار، المساء وجمال الغسق، الشفق وروعة الغروب، الليل وسبله الآمنة.

لا يخيفني الليل على عكس وائل الذي يعذبه الليل والانغماس في صفاءٍ وسكونٍ لأكثر من ساعة. لا نعرف الكثير عنه، ربما لأننا أصدقاء غير حقيقيين، لا أساس لصحبتنا غير ظروف جمعتنا تحت سقف واحد، كلانا يبحث عن ناحيةٍ هادئة، لاحظت أننا لا نطيق سماع ذكرياتنا، نسخر من كل من يبادر بهذه الكارثة. نغلق عليه الدوار قبل البدء، نقول بالاجماع، دعونا نسعد بالحياة، هذه الأيام لن تتكرر، افعلوا ما شئتم. أمامكم نكدٌ وخلفكم فرعون، لا تنتظروا معجزة، لستم أنبياء.

جئت لهذه المدينة للدراسة. أنا لست من مواطني هذه البلد، ليس الغرض الحقيقي لوجودي هنا الدراسة بقدر ما هو الهروب، هروب ناعم، لم تجبرني الحرب على الفرار، إنما دوافع شرسة ناقمة ضد الكبت والانغلاق اللذين تتفاخر بهما بلادي وتقتلني ببطء كما يفعل الماء مع الحديد. علاقتي مع أهلي غريبة، لا هي كراهية ولا هي حب. متجمدة بين الاثنين، معلقة في انتظار تصريح مؤجل.

من طرائف الجامعة ما حدث في أول أسبوع من بداية الدوام. وقتها قلبي كان جاهزًا للوقوع في الحب أكثر من جاهزيته للدراسة، عشقت من الوهلة الأولى امرأة وجهها من نصاعة بياضه ينافس الحليب. وأنفها أنيق لا طول فيه ولا

دلف، لم أر شعرها، كان يكسوه منديل، عيناها، عيون المها، تثور منها رموش كشهبٍ تنطلق من قواعد مستدبة تطل على جدار الجفن كأنها صناديق زهور، الطول معلقات جاهلية على سدار القداسة مصقولة، والايقاع، إيقاع حركتها، سمفونية من رقتها تنافس الفراشات في الشدة واللين.

جرأتي كانت بحجم بعوضة، لا تسمن ولا تغني من جوع، لكن على ذلك واجهتُ مخاوفي التي كانت بحجم فيل، تقول الأسطورة، وانتصرت البعوضة على الفيل.

بعد الاستعدادات المهيبة للمبادرة الأولى في حياتي، صرت أمامها وجهًا إلى وجه، وقلت:

- مرحبا، ممكن دفتر محاضراتك تبع سنة أولى.

تجاهلتني ومضت ضاحكة دون أن تتفوه بكلمة، على الرغم من ذلك، كنت سعيدا، وحدثت أصدقائي بأكاذيب لا أساس لها ولا مثيل، قلت لهم:

- قالتلي: أنا كمان حابة أتعرف عليك، من أول يوم وأنا براقبك وإنت بتراقبني وكنت مستنيتك تيجي.

هذه أبسط الاختلاقات التي حدثت بها أصدقائي، كانوا يدعونني إلى تقبيلها في المرة القادمة، وبعضهم يراهن على جبني وآخر على شجاعتي في الإقدام على ذلك، أما أنا أتصنع الظهور بالرزانة واللامبالاة..

يا الله ما أجمل ذكرياتنا السخيفة!

أتذكر كلام أصدقائي ولا أنكب عن سؤالها عن دفتر المحاضرات. وفي كل مرة تزداد حيرتي، مرة تذهب ضاحكة، ومرة تتركني وداخلها رغبة بلكمي بقبضة حديدية على وجهي، مرة تضحك حين تراني، ومرة تنزعج، كان إدراك هذا الانفصام أكبر مني، وضعني في قوقعة تحليل عقيمة، توعكت كل مقاديري.

***

سارة

ضحكت أمي عندما سمعت القصة، اتضحت جليًا غيرتها من والدي، لم تلفت ردة فعلها انتباه أحد، مررنا عليها مرور الكرام، وحدي أنا من ركز سرقةً بملامحها، وبالغضب الذي تختزله خلف ستار الأمومة، توجد بيني وبين أمي عداوة شديدة، أغار منها، اكتشفت ذلك مؤخرًا، لم تكن واضحة في البداية، أكدتها الأيام، أستغرب فخر صديقاتي العابرات بأمهاتهم، لا أظن أني ذكرتها في مجلس أو حديث، انقضت من لساني.

رغم ذلك يظل لها الفضل الأكبر بتربعي على عرش المرتبة الأولى في المراحل الدراسية جميعها، أمي مثقفة، تعمل سكرتيرة لدى طبيب أسنان، وفي المساء تُعطي دروس تقوية للطلاب في المواد الأساسية.

تعود للبيت مساءً في حدود السابعة أو الثامنة، لا تتأخر، تأتي وتُقبل والدي، ثم يذهبان معًا إلى الحمام، عادة شبه يومية بالنسبة لهما، تسرق فيها أمي والدي لساعة ونصف على الأقل غير ساعات النوم، لا أستطيع الاسهاب في التفاصيل أكثر، الموضوع يغيظني ويأكلني بشدة.

أنهيت دراستي واحتفلت أمي بذلك أمام صديقاتها والأقارب، أبي هنأني بضمة وددت لو أنجح في السنة ألف مرة لأظفر بها من جديد.

تغزو عقلي أفكار مخيفة تجاه أبي، ظنون رحيله من هذه الحياة تقسم ظهري من متنه، هل يمكن أن تحب امرأة رجلا أكثر من أبيها؟

خرافة، خرافة لا أريد تصديقها حتى وإن رأيتها أمام عيني حقيقة، بعض الحقائق لا تتناسب مع حذائي، وأنا أحب الراحة في المشي فوق براثن الحياة.

عندما بدأ موسم الانتساب الجامعي، ترك لي أبي الخيار مفتوحًا على مصراعيه، وأصر على أن أكون في احدى الجامعات الخاصة، كان إصراره يبعث في نفسي فخرًا لا يضاهيه شيء،رغم صعوبة المصاريف إلا أنني التحقت بإحدى أفضل الجامعات الخاصة، ودون أن أقسو على حالة والدي الاجتماعية، أنقذتنا الصدفة من بأس الحياة.

فزت لتفوقي في الثانوية بمنحة دراسية، ولكوني الأولى على منطقتي، والرابعة على البلاد. الأشياء الجميلة عندما تتساقط تباعًا، تعجز القلب على الامتنان، خصوصًا وأن والدي ما زال على قيد الحياة، لم يمت كما يغمز السرد في بداية الحكاوي.

دخلت الجامعة، وغرقتُ في العشرين، التغيرات لاحقتني كالفواتير، حتى جسمي صار يتكلم، وثيابي ساعدته على التعبير.

لم أكن اجتماعية أبدًا، أجلس في باحة الجامعة وسماعات الهاتف تسد أذني، في المحاضرات لا أشارك بغير التعريف عن نفسي إن سألني أحد.

كان زملائي الشباب في الكلية لا ينكثون النظر لغموضي المركون في الصف الأخير للقاعة، كما لا يتوقفون عن تفحص أردافي، نبهتني والدتي من ذلك أثناء تجربتي ملابس الجينز الضيقة أمامها.قالت سيلهث خلفك الشباب كالقطيع..

جميل أنّ أمتلك جسدًا متكاملا، صدرا متكورا، طولا متوسطا، وأردافا مستديرة تبدو في أي ثياب مثيرة، لكن ما أبشع أن يكون ذلك نقمتي، مؤسفٌ أن يهبك الله نعمة، يحرمك العباد من التجلي بمميزاتها، جبرًا لا طواعية.

هل يدرك بنو آدم مقدار الرعب الذي يجتاحنا كلما مررنا في طريق؟ هل يدركون ماذا تفعل تعليقاتهم بنا؟ إننا نهرب من سخافاتهم لأسوار وجدران نضعها بأيدينا، وبأقمشة نطوق فيها أعناقنا صيفًا وشتاء، وإن زينا أسوار السجن، لا نفلت من تهكمهم، هل في الحياة آسف أكثر من أن يسجن المرء نفسه بنفسه؟

حين قلت لأمي، ما أجمل أرادفي وصدري، نعتتني بال "المشتهية"، جاهزية أمي لنقضي مثيرة للاعجاب، لم أجبها على ما تفوهت به، رمقتها بنظرة ساخرة وتحسست جسدي أمام المرآة وقلت في نفسي، ما لم يكن هناك رجل مثل أبي، سأظل عذراء.

ليتنا نحب أنفسنا ونتزوجها مثلما نحب الآخرين، ليت الهم الذي يرافقنا منذ بلوغنا إلى مماتنا تزيحه الطبيعة، ليت تلك المآسي تذهب بعيدًا عن صفوتنا، إن الأرامل والعازبات لا يوجعهن أنهن بلا رجال قدر ما توجعهن نظرات الناس الاستفهامية الوقحة والتعجبية القذرة، بدءً من الأهل وانتهاءً بلقطاء الشوارع.

في الجامعة لم يلفت انتباهي أول الأمر أحد من الشباب، لم أشعر تجاههم بغير التقزز والنفور، لكن كعادتها الحياة، لكل قاعدة شواذ، وأنا أخذت نصيبي من النظرية، أحد

الشباب الوافدين كان مختلفًا عن بقية الرعية، وما جعله مختلفًا وساحرًا، نظراته الجريئة والمحددة، دومًا اتجاه عيني، ليس صدري ولا أردافي، بل عيني. عندما أنظر إليه، تصيبني رعشة، جريئًا كان، لا يزيح نظره فورًا كبقية الرجال الجبناء.

كان يبدو عليه أنه أكبر سنًا من طلاب دفعتنا، ربما أكبر بسنتين أو ثلاث، يشارك في المحاضرة باستمرار، أجوبته نصف صحيحة، لكن بالنسبة لباقي الطلاب، يعتبر صيحة، على الأقل لا يندفع للمشاركة باجابات ساذجة، وفي نظري هذا كبيرٌ جدًا.

كنت أبدو للجميع، مغفلة، لا أفهم شيئًا، سمعت زملائي في الدفعة وهم ينعتوني بالمعقدة!

لم يغضبني الأمر البتة، ظل الوضع على ذلك، نظرات تلاحقني، ونظرة المعقدة تحوم حولى شخصيتي حتى جاءت الامتحانات.

***

يامن

يفتح الفراغ ذراعيه، يستقبلني بعزم شهيد، أصدقائي ذاهبون الليلة إلى الكباريه، أنا أقبع في جرثومة الأحلام الوردية، سقف أمنياتي تجاوز الحديد والصلب، لماذا تعاملني تلك الفتاة بانفصام؟ ولماذا تكون بداية الحياة الجامعية بهذا الجموح الغريب؟ هناك سرٌ ما، ربما لأن المدارس سجن، ربما لأن الحرية في الجامعات ملذاتها أوسع؟

كانت هناك طالبة أخرى لفتت انتباهي بشدة غموضها في الوقت الذي تعلق طموحي بالفتاة ذات البياض الناصع، والتي عرفت أنها تربت في الشتات، أصولها نفس أصولي، دمها نفس الذى وهبتني إياه بلادي، شعرت بذلك، لكن لم أكن على يقين، نرجسيتها القاتمة رأيتها في كل أبناء شعبي، أناقتها ورزانتها أيضًا رأيت فيها طباع أهلي وأصدقائي..

لا ألتقطها في الممرات الجامعية بغير أوقات الصباح، ذلك لأن الاستراحة بين المحاضرات لا تتشابه مع باقي الدفعات في الكلية.

اعتدت الذهاب مبكرًا، الوقت الوحيد الأكيد الذي يمكنني رؤيتها فيه، نهاية العقدة كانت سريعة جدًا، في احدى الممرات التي كنت أجلس فيها في الكلية، على الجهة اليمين كان حمام البنات، وعلى اليسار تقع قاعات العلم والدراسة. خرجت الفتاة ذات البياض الناصع مع زميلتي التي طالما أحببت إطالة النظر إلى عينيها النافرات غموضًا وفضولًا. آخيرًا وجدت لتلك الفتاة صديقة، ولسخرية القدر، الفتاتان اللواتي لفتن انتباهي بشدة أصدقاء، والأكثر سخرية ما حدث بعد ذلك بدقائق، عندما وقفت زميلتي والفتاة أمام الحمام لفترة، كانتا تنتظران فتاة أخرى، خرجت لتدهشني بطلتها البهية،كانت الضلع الثالث للصدفة المستحيلة، أنثى ناصعة البياض مثل التي تقف مع زميلتي، ليس مثلها في البياض، بل نسخة كربونية منها، نعم.. لقد كنت معجبا بتوأم ظللت لفترة طويلة أظنهما شخصا واحدا!!

قلبي لم يتوقف عن الضحك، شعور أن تنال منك خدعة لطيفة، أكثر من جميل، الموقف الوحيد الذي أرغب بشدة أن أعيش فيه دور الضحية ألف مرة، يومًا كان من

أسعد أيام حياتي، يوما شعرت فيه كم جميلًا أن أبدو مغفلًا أمام نفسي.

قررت أن أتعرف على زمليتي كجسر لفتاة أخرى، هكذا نفتت الصعوبات في الجامعة، كل معضلة لها ثغرة، والثغرة في معاييرنا، الأبواب المواربة، وهل هناك أسهل من الغموض والاختلاف لكسر عزلة الغامضين؟

استطعت الوصول لحساب زميلتي على صفحة الدفعة على احدى مواقع التواصل الاجتماعي، عرفت آخيرًا اسمها، سارة، شعرت أن الاسم يليق بها، لا أعرف لماذا؟ يبدو أن كل من يحمل هذا الاسم يبدو هادئًا في البداية، ثم سرعان ما تثور بلا حصر مزاياه.

اكتشفت بعد التدقيق في حسابها أنها عكس ما تبدو عليه دومًا في القاعة، حسب نوعية الكتب المسجلة في صفحتها، تُعتبر قارئة جيدة، تقرأ الكتب باللغة الإنجليزية. منغمسة في العالم الأجنبي، متابعة جيدة جدًا لمعظم المسلسلات الأجنبية الشهيرة، من عشاق هاري بوتر ومشتركة بمعظم الصفحات التي تتعلق بحكاية الصبي الساحر.

ظهر تميزها وذكاؤها واضحًا للجميع بعد نتائج أول امتحانات اختبرناها في الكلية. علامة كاملة في كل المواد بلا استثناء، صدم تفوقها الطلاب، لم يصدمني بتةً، استشعرت ذلك من قبل، أهم ما في الأمر أني وجدت مناسبة للحديث معها، راسلتها وكتبت لها أهنئها بنتائج الامتحانات، شاهدت الرسالة ولم ترد، كتبت مجددًا أستفسر عن عدم ردها، جاء ردها محبطًا كالاغلاق..

" إنت مين أصلا؟ "

قزمتني ولم أعرف بماذا أجيب، جلست قرابة الساعة أمام الرسالة أعيد قراءتها في ذهني حتى أردفت سؤالها بعلامة استفهام، أجبت.

" أنا زميلك في الكلية، اسمي يامن، بقعد دايما أول مقعد عكسك. "

على رغم من سطحية الموقف، أدماني سلبًا بالخجل، سذاجة أخرى تُضاف لرصيد حماقاتي، ما زاد الطين بلة ردها على كلامي:

" أها .. مش فاكرة، معلش ما أخدت بالي."

***

سارة

بعد ظهور نتائج أول اختبارات امتحنتها في الجامعة، تغيرت نظرة الناس، صار التعجب والاستفهام يفر من عيونهم بلا استئذان، اسمي يردده الأساتذة في جميع المحاضرات، تطلب مني الإجابة على الأسئلة دون أن أرفع يدي، تقربت مني بعض الزميلات المشاكسات، أعجبتني صداقتهن.

كنتُ الهادئة بين الثلاث، نمشي معًا، نأكل معًا، وحتى النكات الخارجة تعودت على سماعها تدق أذني يوميًا.

مؤخرًا لاحظت ضيقًا يلف حياتي، مساحة الأصدقاء فارغة في حياتي، لم يجلس على أريكتها أحد منذ طفولتي، تعشمت في صديقاتي الجدد كثيرًا وتعلقت بهن على الرغم من سطحية أحاديثهن والتي لا تدور إلا حول الثياب وأدوات التجميل.

الشاب الوافد صار حضوره في الجامعة قليلًا، غيوم غموضه اشتدت كثافتها، أشعر أن مطره اقترب، كنت أتحسس عقلي في كل مرة يمر على خاطري، التفكير به بحد ذاته أمرٌ دخيل، دخيل على شرودي وأنا أمشي، وأنا أنتظر.

التفكير لأول مرة برجلٍ غير أبي، أمرٌ مروع، كنت أنادي خوفي بحب، أحب خوفي، أنا أول الناس التي تحب الخوف، الخوف قيمة إنسانية رائعة، الخوف يصوب الخطايا، الخوف هو العرافة التي تجعل من القلب فنجان قهوة فارغ يقرأه العقل بلهف وعطش.

فتشت عن خوفي وجدته ساكنا في علامات وجهه التي وشمها القدر تحت جفنتيه، علامات التعب التي رسمها الشقاء على وجه أبي ووجهه..

فررت إلى صوت أم كلثوم، كان منزلًا دافئًا جدًا، أعيش فيه أمتع لحظات هذياني،الدقات الأولى لأبواب الحب تفضح العذاب بوضوح، تملأ هدير أنفاسه دخانًا يطيح بالنفس في سكرة نشوتها لا تهدأ، تقول أم كلثوم:

"آمر عذاب، أحلى عذاب، عذاب الحب"

جلست أنا وأمي أمام التلفاز نشاهد برنامجًا لاصطياد المواهب، لم أكن أعطي اهتماما يذكر لما يحدث على الشاشة، باغتتني أمي باقتناص هواجسي، كأنها تسكن في عقلي، أو كأن حياتي نسخة مكررة من تجاربها وما عليها إلا أن تتذكر ما حدث معها لتتنبس به وأجده يطابق حالي.. بسخريتها المعتادة قالت:

- حابه جديد؟

أنا لست مؤدبة مع والدتي، وعلاقتي معها يحكمها المجتمع، أجبتها بنفس السخرية لكن بطريقة مستفزة:

- إنت شو دخلك؟

مشكلة عابرة مرت بسلام، لجأت لغرفتي مبتعدة عن أمي،أواجه صورة السؤال أمام المرآة، أفرح بالطريق الجديد،طريق "حابه جديد"، متعة الخوض في أمر مختلف، بداية انغماسي في حفلة التفاهة، الحب وألاعيبه الساذجة، السد والرد، التمنع والادمان، التناقضات كلها، عشت في كذبة كبيرة، أقنعت نفسي وبسرعة أني على وجه الحب، حب من طرف أقل من واحد.

أول رجل أحببته لم يحدث أن تبادلت معه أي حوار، مراهقة بتلات الزهور في أول ضحكاتها، الغريب أني خائفة ومستمتعة جدًا بذلك، مستمتعة حد الارتباك أمام أول خاطرة حب ظهرت أمامي..

***

يامن

"مرحبا سارة، أنا يامن اللي حكيت معك وطنشتيني.."

هكذا دار بيني وبينها أول حديث، كنت متغيبًا فترة عن الجامعة لظروف تتعلق باستكمال أوراقي الخاصة بدائرة الهجرة والجوازات، وكان سبيلًا سهلًا بعد ذلك مبادرتها بالحديث، ببساطة أردت سؤالها عن ما فاتني من محاضرات، هي الطالبة النجيبة التي تسجل المحاضرات باستمرار ولا تتأخر عن حضورها أبدًا.

لم أفهم لماذا تجمدت واحمرّت وجنتاها لذلك، لكن جميلٌ جدًا أن تُربك امرأة بهذا الحضور، امرأة تستوطن خلف هدوئها آلاف الأسرار الثائرة.

زمليتي سارة، قمحية، بشرتها تُحسب على لون القمح، لها جاذبية اللاتينيات، سُمرةٌ مشتهاه، تجلس دائمًا على المدرج الجامعي يطوقها الورق، وتلاحقها المهووسات بالموضة، المهملات لدراستهن واللواتي يخترن أسهل الطرق إلى النجاح، مجالسة النجيب.

أظن أن حياة سارة تترنح ما بين الالتزام الكامل والقابلية للانحلال، ينقصها قليل من السخط والانتقام كي تفقد ايمانها بالأفكار المهترئة، الأفكار القديمة التي لا تُنساب جاذبيتها السمراء.

بعض النساء لا تليق الفضيلة بجمالهن، أعرف أن رأيي صادم جدًا، لكن في النهاية أنا لست حكيما لأتفوه بأراء نقية وفقًا لمعايير المجتمع. أتخيل سارة بغير هيئتها دائمًا، وهذا تفسير شرودي الدائم كلما التقيتها وتوقف الزمان عند لحظة تحديقي بسحرها، أتخيلها بلا حجاب، شعرها أسود له لغة خاصة بمخاطبة الهواء والليل، لباسها العصري يلفت انتباه الشجر إذا ما مرت من أمامه، وابتسامتها تكفي لأن تضيف للمعجزة هيبة خاصة، خجلها بين بين..

الخيال دائما أكثر ألقا ورِقةً من الواقع، حتى القبلات التي طبعتُها سرقة على نحر سارة كلما انزاح حجابها صدفة أو انشغالًا بحل مسألة في المحاضرة أكثر روعة، الاشتهاء من طرف الخيط أجمل..

الغريب أن اعجابي بسارة لم يتملكني منذ اللحظة الأولى، مثلما شاء القدر أن ينال مني التوأم، بل تجلى مع مراقبتي لطباعها الرقيقة، وحُنو ردات أفعالها الناعمة.

أنسى نفسي وأنا ألاحقها من مكان لآخر، يضيع كبريائي وثقلي وأنا أركض لهثًا خلف نسيمها الآخاذ، خلف يقيني بأنها خُلقت لتكون امرأة من طراز خاص، تمامًا مثل الوردة الوحيدة التي تنبت فوق الماء، فوق المستحيل..

ومضى من الزمان صيف وشتاء، ارتشفت صبري وأخذت سارة تلين في حدتها تدريجيًا، مسها هوس الأناقة والغرور المستحب، ومستنى من التشرد كل شهوات الشباب، سرعان ما تآلفت مع أجواء الانحلال وصرت جزءًا منها، جذبتني نوادي السهر من فضولي ورطمتني بمختلف أنواع الكيَف والادمان.

أظن أني في هذه المرحلة قد تفرعت من شخصيتي شخصيات أخرى، أنا لا أكون أنا في كل مكان، في الجامعة لا أكون مثلما أكون مع أصدقائي على القهوة، ولا أكون مع أصدقائي على القهوة مثلما أكون مع رفاق السهر.

اضطررت أن أكون نجيبًا لأجاري ذكاء سارة في الدراسة، رغم أنه يكاد مستحيلاً التفوق على تفوقها، فهي الوحيدة

التي تصحح أخطاء المعلمين، صار عند معظم زملائنا ايمان بأنها أجدر بأن تكون في الفصل معلمة وليست طالبة.

كنت سعيدًا بالتحولات التي طرأت على حضورها، على الأقل غدت تتبسم. صارت لها ضحكة أميزها جيدًا، ضحكةً لا تتناسب مع براءتها الشديدة، حين أسمع ضحكتها لا أقول إلا سبحان الله "يخلق ما لا تعلمون". ضحكتها فاضحة جدًا، تليق براقصة أكثر من طالبة جامعية، ولو أن أي امرأة في الكون غير سارة تملكها، لما تقبلتها كما أتقبلها وأشتهيها من فمها اليوم.

اكتشفت مؤخرًا أني لست الوحيد الذي استحوذتني روح سارة، جُل تركيزي كان سارة وليس نظرات البقية لها، لم ألتفت لشراسة اعجابهم بها،على المقاهي يتهمونها بالنرجسية والغرور والتكبر، وبين أنفسهم وعزلتهم كانوا أمام خيالها أرق من يرقة، معظمهم يبدونِ أغبياء جدًا إذا ما تصادف ودار لهم حوار معها، جمالها يُذهب عقولهم وقلوبهم الضالة. أظن أن ذلك يُفسر فكرة عامة عند رجال الشرق، فالرجال الشرقيون ترفض عقولهم الاعتراف بضعفهم أمام النساء، تحرص عقولهم على تقديم أنفسهم معقشوقين وليسوا عشاقا، لا يهمهم أن يكونوا في الحب مجرمين، المهم ألا يكونوا ضحايا.

أغلب الظن أن مجتمعاتنا تغذي أنانية الرجال، على أي حال قليل من الأنانية لا يضر.

***

محمود

هُراء الحُب والنساء، إن أقبلتَ على حبها أدبرت، وإن أعطيتها ظهرك أقبلت، ذلك ما لا أفهمه بالنساء، جنون مطبق، افتعال مشاكل لا حصر لها، واختبارات حمقاء لكشف منسوب المحبة..، والمشكلة الأكبر، لو بادرت فجأة وقلت لها أحبك ، ستشك بك ويحلق خيالها في ملكوت الخيانة!

لماذا يكون اللا منطق والوسوسة طريق الحب عند النساء؟

كانت تبكي على صدري، والضعف يحجب أي فكرة تغرد في رأسي، كنت أسمع نحيبها والطفل الذي يشهق داخلها، أحس أضلاعها ترتعد في كنفي، يا الله .. يا الله .. ما أوجع أن تبكي امرأة على صدري، إن النار أخف وطأة من عجزي. قد

تكون امرأة واحدة بطلة الحزن في كل الروايات، وما إذا كان ذلك صحيحًا، فهي تلك المرأة التي تنزف كالصلاة وجعًا على سجادة صدري..

هدوء مريب، يبتزه صوت ضربات الساعة، شهقات الأسى تضفي صبغة الرعب على كُحل الليل.. عشرون ذنبًا على السرير، الحب وعد لا يرد، صلوات أُم في منتصف الليل وخوف لا يكن ولا يستكين، الاقتراب منه اقتراف جُرم، والابتعاد عنه مبارك من الكل. أقبع في غرفة الفندق كي أحلل حُرمة اللقاء، ما دمت تستطيع أن تدفع، تصير المحرمات أقل، المسألة في الشرق ليست بمعظمها قناعات بل أكثرها مرتبط بالمادة.

في أعماقي رفض وفي ذهني هواجس لا تنفض، ماذا لو هناك كاميرا سرية تسجل اللقاءات الحميمية للنزلاء؟...

أحداقي تدور في أرجاء الغرفة، تفتش على أي منفذ تتلصص منه عدسة أحد المبتزين، كنت أتفحص كل ركن في الغرفة بينما كانت نور تتقوقع في حضني مثل فراشة تحتمي بشرنقة في طور الخادرة، لا أستطيع لجم مخاوفي ولا كبح دموعها.

على سرير مريح نستلقي، خلف رأسي وسائد مخملية، درجة حرارة لا تزيد ولا تقل، الزئبق مستقر، أمامي تلفاز مقوس يشبه بانحنائه نصف بيضة، الجدران بلون الحليب لا يكسر نصاعتها سوى مرآة فوق الطاولة وزخرفة مملة عند كل ركن..

غمغمت نور مستوقفةً قلقي قائلة :

- بحبك.

كان حرف الباء الشفوي في أول الكلمة، أشبه بفتح الستار لسوناتا القلب.

تأرجح نبضي على إثر ذلك من سريع لبطيء دون سلطاني، لم أرغب بأن أتفوه بشيء، اكتفيت بتقبيل جبينها وملامسة أصابعي لأذنيها برفق، كانت المخاوف تعتريني أكثر من الحب.

بعدما تفقدت بنظري كل ركن في الغرفة ولم أجد نفسي، تجرأت على عبثي وسألت قلقي:

لما أنا خائف؟ ما الخوف؟ هل سيظل يعترضني دائمًا؟ وإلى متى؟

أظن أن السؤال ما الخوف يقود إلى السؤال الآخر، ما السعادة؟

الخوف والسعادة مشاعرٌ لا تتلاقى في آن واحد، كما أن الخوف نقيض كل شيء، في غمرة السعادة قد يخطر شيء مقلق على بالك، هذا الشيء سرعان ما يُترجم إلى خوف، يطفيء كليًا دفء القلب ونشوته، تصير نغمات القلب تهرول بدلًا من تجليها بهدوء، تصير مفزعة بدلًا من أن تكون هديل حمام. الفرق ما بين الخوف والسعادة، هو الفرق ما بين أقصى اليمين وأقصى الشمال، الفرق ما بين دمع الفرح ودموع المأساة.

أتعجب من كم الهواجس التي تصيبني وأنا أتراقص على ايقاع السعادة، حيث الذكريات والفرضيات السيئة تنقض على روحي ولا تتركها حتى الاختناق.

***

وائل

العذاب الذي تختاره بارادتك، لا يكون عذابا، بل أشد درجات السعادة وجعًا..

حلَّ التباين على وعيي وادهشني، أضرم في شرودي النار، تركتُ تفكيري بياسمين وأوجاعها وتأملت الأشياء على دَعَةٍ، كأني أراها لأول مرة، كأني أتذوقها لأول مرة. أنا الوحيد الثابت على الطريق السريع، المشهد تغير، العناصر المادية الجامدة ترقرق فيها روح الحركة، أما أنا، تمثال رخام أمسى في عربة تجرها روح السرعة وقوى الاحتراق، المساحات الخضراء تركض من النافذة، المساجد تهرول، القمر يتأنى في خطواته، يكاد سنا ضوئه يخلب الأفئدة، ومن بعيد، مدينة عيونها المضيئة ترصدني.. نظرت حولي، الكل يحدق بي، ماذا؟ من أنتم؟

لا يفصل عائلتي أكثر من قليل عن العالم، قلائل أولئك الذين يُعتبرون حلقة الوصل بيننا وبين الحياة على ضفة المدينة، الانفتاح على الآخر من المحرمات التي لم يكسرها أحد غيري. دفنت في نفسي أمنيات أن تتعقبني ياسمين وتسير خلف خطواتي، ياسمين التي نضارتها ترونق أبصار الناظرين و المتوسمين، وتفتح قلوب المتألمين، وتأسر قلوب الحاضرين، في خجلها تُحبس الأنفاس، وتتلعثم الألفاظ.

يحسدني عليها كل رجال القبيلة، لا يفلح في خداعها أحد، في عينيها السوداوين رونق مذهل، لؤلؤتان في سقف السماء، لبقة في غِيرتها، صافية في حبها، أنيقة في مظهرها، بشوشة في إطلالتها، الحديث عنها يلمع سناه في كل مجلس، يكاد جمالها يبتز بهاء الطبيعة.

ياسمين والبادية مرحلة لا أريد لها أن تزورني مجددًا ولا حتى على سبيل عابر سبيل يمر سريعًا بين الأزقة، أنا كما أدعي حياتي في المدينة أفضل، بين أصدقائي، محمود ويامن، لا يمر يوم دون سهر، علاقتي مع النساء نسبية، وعلاقة قلبي مع النساء جيدة، قلبي يغرد على هواه، قلبي أسعد من دُلفين يحلق كالفراشات من زهرة لأخرى، يؤنبه أن الأزهار ليست مثله حرة، الأزهار لا تطير من فراشة إلى أخرى، ولا تخون بإرادتها، الأزهار مثل النساء، تتناوب الأشياء على

ثغرها، الرجال أنواع، بعضهم يحط رقيقًا كالفراشات، وبعضهم يحط عنيفًا كالنحل، وبعضهم يحط وضيعًا كالذباب، في النهاية يختلف الرجال بأشكالهم، وتبقى النساء بكامل سحرهن وأناقتهن زهورًا، زهورًا تقتلهن المقاومة ويقتلهن الرفض بمجمل سيميائه.

جميع النساء اللواتي قبلت شفاهن لم تعلق بذاكرتي غير التي حملت اسم الياسمين، شهيتي على عاتق العطور أضعها، تشعلها وتطفئها وتبدلها الروائح كما تشاء، شهوتي تحملها الرياح، جزيئات تتطاير في الهواء تحرك إدراكي واحساسي وتأسرني خلف أسرابها كعبدٍ مُغيب.

تغني فيروز:

" هل تحممت بعطرٍ وتنشفت بنور؟"

هذا ليس سؤالا، هذا شرط للألفة القادمة، لأضلعي التي تستنشق عنقكِ بعد الجواب، ومَا أجمل العناق برغبة الأنف لتَنسُّم النسيم، أقول لنفسي قبل تقبيلها، تعالِ، تعالِ، ويزداد هدير أنفاسي مع كل كلمة تحدثني بها نفسي دون أن تنطقها شفتاي، تداعب شعرها شفتي ويظلُّ عالقًا ويقول هل من مزيد؟

يسقط كالشلال غطاء رأسها الذي كان يغطي نصف شعرها، اللحظة التي نُضرم فيها النار بكل المحرمات والتقاليد...

***

محمود

خرجت من الفندق إلى الهواء الساخن، منتصف الليل، الشوارع مرعبة، رائحة الصيف والليل أعرفها جيدًا، على الأقل هي مخزوني الإيجابي للتعامل مع المواقف المهيبة، لماذا تكون الشوارع بهذه البشاعة والروعة في آن واحد؟

كيف نصف الطرقات، كيف تتعايش شوارع المدينة مع التناقضات، تتوشح بالجمال ويكسوها الخوف ليلًا.

تركت على السرير ذنبًا رقيقًا، أرق من غشاء البكارة، الشهوة ثمنها ساعة، الحب يكلفنا الدهر، ما الجديد، لا شيء، الأفكار تنسخ وتلصق نفسها منذ دب النبض في أول قلب على وجه البصيرة، لا ضرر في التكرار، نشرب، نأكل ونحب،كلها شهوات، ما الخطأ بأن نحب مثلما نشرب ونأكل، نجرب كل فترة وجبة مختلفة؟

ما دمتُ رجل ثمود تظل أفكاري الخارجة عن السياق تهذبها المبررات، أعتقد أن رغباتي مجرد سلعة أسوّق لها حتى تغدو قناعات تُريح ضميري، ضميري زهرة شائكة، معتدية بطبيعتها، وعلى كل سيئاته يظل يهمس أنا زهرة والجمال توأمي، سهلة حياتي، أغير مقاصد الكلام، وأبدل الأشياء على مزاجي، ومزاجي طفولي جدًا.

وأنا خائن والرجال الخائنون، يجيدون قراءة النساء، يجيدون جدًا العزف على أجسادهن بمهارة، يجيدون أيضًا الارتجال وبعث السعادة في قلوبهن أكثر من غيرهم، موهوبون في إسعاد النساء ما لم يكتشفن أمرهم.

في الوقت الذي خرجت فيه من أكناف نور، كانت الرسائل قد تراكمت في هاتفي غُبارٌ فوق غبار، ملؤها الحنين والشوق والعتاب، ينازعني ولا يؤذيني ضميري الذي يطرق قلبي كل حين وحين، أفكر أحيانًا ما لو يُتاح للنساء التباهي بعدد الرجال في حياتهن كما يفعل الرجال مع النساء؟

مضحك ..

كل الرجال خاسرون في هذا السباق، النساء تجر قبائل خلفها،الرجال محافظون على حضورهم،في الخلف يدفعون النساء بقوة السوط والصوت، الرجال بمعظمهم يذهبون وراء النساء بمحض إرادتهم، النساء بمعظمهن يقودهن من الخلف الرجال بعصًا مغلفة بالتهديد والوعيد.

سماح ذكية، تدرك أني على علاقة بعشراتِ النساء مهما أبديت امتعاضي وغضبي والذي أسندته على مبررات الشكوك والثقة لأهرب من الإجابة عن سؤالها القاهر، هل تعرف غيري؟

أنا أشبه أصدقائي تمامًا، لا نختلف إلا على النساء، كلنا يدرك مدى وضاعتنا ولكن ذلك لا ينفى سعادتنا بهذه الحياة،متصالحون مع فكرة أن الحياة بالأخطاء أجمل، وبما أننا مجموعة،خطايانا تهونها الصحبة، صحبة بالنسبة لهم، ألا يقولون أن الموت مع الجماعة رحمة، وارتكاب الخطايا مع الجماعة أيضًا رحمة، لكن، يظل الخوف يراودنا كلما تذكرنا غدر الحياة، نخاف أن تخلع الدنيا قناعها على غفلة في لحظة، وتصيبنا فأسها في الجذع. فوق كل الجموح الذي نعيشه،يصطادنا عذاب من نوع آخر،سطوة الخلوة، الوقت الذي يحتد فيه تفكيرك لأقصى درجات الحياد وجلد الذات، الوقت الذي تمزق فيه نفسك نفسك كفعل انتحار.

وائل صديقي الذي جاء من البادية حيث الصفاء والنقاء يعيش منذ سنين في قذارة المدينة، يخاف الجلوس وحيدًا، يخاف أن تقتله الحسرة، وصل به الحال إلى أن يتكفل أكثر من مرة بمصاريف سهراته مع الشباب كي لا يبقه لوحده، أما شخصية يامن، الشخصية الخبيثة التي تشبهني إلى حد ما وأمقتها لذلك، فيه من الخير ما يجعله مقبولًا أكثر مني في جلسات السمر.

***

وائل

الجو كان باردًا، اشعال قليل من الفحم في موقد النار والجلوس في الهواءِ فكرة لطيفة. اعتدت الجلوس قرب النار والانصات لطقطق الخشب المحترق. أحب الصمت الذي يعكره الحريق والهواء.

الليل رفيق الاكتئاب. لذلك يحلو التدخين ليلًا ويطيب أكثر لو خُلط ببعض الحشيش الذي أحضره محمود وهو عائدٌ من لقائه الحميم مع صديقته نور.

جلست أنا ومحمود على السطح. بالمناسبة لا تجمعني مع محمود أية أحاديث جدية. أشعر أحيانًا أننا لا نملك مواضيع لنتحدث بها، لا السياسة ولا الحب ولا شيء، ربما النساء فقط.العشرة الطويلة جعلتنا نستنفد كل النقاشات الممكنة. دائمًا نجلس فارغين الفاه من الحديث.

أفرغ محمود السجائر في طبق أبيض، وضع بعض الحشيش في ورقة القصدير، وسألني وهو يمسك الحشيش المحشو في ورقة القصدير بيد وبالأخرى ولاعة السجائر.

- هل الحب مرتبط بالشكل أكثر من الروح؟

أجبت وأنا أحضر تبغ السجائر بأصابعي:

- الاعجاب يرتبط بالشكل، الحب هو الروح، أنا أشتاق الجميلات وقت الشهوة فقط، أما من أعشق روحها، أشتاقها دائمًا في حضور وغياب وعي.

- معك حق، لكن المسألة بالنسبة لي مختلفة، أنا أشتاق نور جدًا، وفي اللقاء لا تسيطر النقاشات علينا قدر ما تُسيطر الحميمية، بينما سماح لا تجمعني بها إلا المشاكل والكلام، لكن لا أشتاقها قدر ما أشتاق نورا!

- أعتقد أنك لا تحب أيًا منهما، سواءً نور أو سماح، كلاهما في حياتك يملآن الفراغ الذي يمزق غربتنا، صدقني الحب أكبر مما تفعله.

- لا لا، مستحيل، أنا أحب سماح مثلما تُحب ياسمين بالضبط، لكن نور... لا أعرف.

- من الممكن العكس، تُحب نور وتتسلى بسماح، و وحده عقلك ما يمنعك الاعتراف بحبك لنور لأنها أكبر منك بالعمر.

أمسك سيجارة الحشيش بامتنان بين أصابعه، وقال:

- الحشيش وحده من يملك الإجابات جميعها.

- نعم، الحشيش حكيمٌ وصريحٌ جدًامع كل أصدقائه.

في هذه الأثناء دخل يامن وكان شاردًا بعض الشيء، يامن صديقنا ورفيقنا بالسكن، يعتبر نفسه مثقفًا جدًا، أما أنا فلا أراه سوى من أنصاف المثقفين، في عينيه دائما سخرية ونقد لاذع، ربما لا يتفوه بهما لأنه متورط معنا في أشياء أخرى لا تعطيه الحق بأن يتدلى على أكتافنا بمواقع الفضيلة.

يظل يظن أنه الأفضل بيننا، أدرك أن ذلك نابع من الاختلاف الذي أحاط بموطن طفولتنا، يعتبرني أنا ومحمود مدللين أكثر من اللازم، يظن كونه ابن المخيم وكونه كادحًا أنه الأفضل، لا يكف عن التفاخر بكونه عصامي ويعمل منذ طفولته، ذكر أكثر من مرة أمام أصدقائنا أننا فاشلون، أنا ابن قبيلة ثرية. ومحمود والده طبيب مستواه المادي جيد جدًا، والدلال الذي تغدقنا به منذ طفولتنا سبب فسادنا والتصاقنا بالجامعة لأكثر من سبع سنوات.

أنا ومحمود نعرف ذلك جيدًا، ومع ذلك لا نناقشه بالأمر، نظن في كنانة أنفسنا أن ما يضمره في نفسه أمر مسلي، حيث يامن أكثرنا تحفظًا، لا يدخن الحشيش، ولا يمارس الجنس مع أي امرأة مثلما نفعل،يكره ارتياد النوادي الليلية، ويعشق زميلاته في الجامعة وعلاقته بهن جيدة، على عكسي تمامًا، رغم أني أقبع في الجامعة منذ سبع سنوات، لم تكن لي زميلة طوال هذه المدة على الاطلاق.

كثرة التجارب جعلتني بصعوبة أصدق الجمل العاطفية، صرت في مملكة الشك سلطانا. أفسر الكلمات آخذًا بعين الاعتبار طقسها وشكلها والوقت الذي داهمتني فيه.

أراقب أشياءً أخرى تفاعلية تفضح أيامنا بالتفاصيل، لا شيء لا أمر عليه كي أتمم تحاليلي على أتم وجه..

أظن أن مثلي كثير، لم يكن أبدًا مثل هذا الشعور جيدا، بل هو مرض فطري، يبدأ بالشكوك وينتهي بالأرق الأبدي، نومٌ والعقل مشتعل..

الشكوك لا تأتي من فراغ، لكل شيء سبب وأنا أعذر كل أولئك المزروعين بالشك وأحترمهم.

أظن أن فوبيا التعرض للخيانة يتربع على عرش تلك الأسباب، الخيانة لا تأتي إلا بعد الثقة المطلقة، وجعها لا يستطيب دون أثر، وشمٌ محفورٌ في جسد.

سألت نفسي، وكل من مر بحالة مثلي أظنه سأل:

- ما الذي يدعو شريكي لأن يكون مخلصًا أبديًا ؟

كنت خياليًا حين ظننت الحب كافٍ، وصرت واقعيًا حين أدركت أن لا شيء يدعو..

أظن أن لا بأس من مثل هذه الشكوك، البأس بعدم الإفصاح عنها وكبتها، والبأس الأكثر شريكك معللًا وجعه بجملة الروتين:

- بعد كل هذا أتشك بي؟

صدقًا ما المانع من الشك؟ الخيانة لا تأتي إلا من أقرب الناس يا عزيزي!

هاجس آخر لا يكف عن طرق الباب، هل يفكر شريكي مثلي؟ وهل الأشياء التي تفرحني وأعدها له تسعده؟

أعنى لو أعددت له فنجان قهوة في الصباح و أيقظته هل سيحب ذلك؟ الكثير من الناس لا تحب الصباحات الرومانسية مثلي، لماذا أغامر وأضع إجابات لهواجسي

بطريقة تفكيري وأنا على يقين أننا مختلفون بالكثير، خصوصًا طريقة التفكير؟

في نقطة معينة من العلاقة نكتشف أشياء في الشريك قد لا تتناسب مع حياتنا وعلى اثرها تنتهي العلاقة بالصراع أو الانفصال.

مثال ذلك، هل أرغب بالأطفال مبكرًا بعد الزواج أم لا، هل سأتحمل مسؤولية الأشياء كلها أو ان هناك مهمات توزع، إلى أي مدى تتناسب الحريات الشخصية مع كل شخص بالنسبة للآخر..

هل كل هذه الاختلافات قابلة للحل أم أنها حل قهر وتضييق؟

إن هذه المخاوف تولد بالتوازي مع ميلاد الحب، لكن تظل لفترة متخفية، لذلك الإفراط بالثقة بالنفس مؤذي وعدمها مؤذي أكثر..

على الحب أن يكون واضحًا دون أي حواجز، والإفصاح عما يدور في الذهن أمر طبيعي لا استثنائيًا ..

***

سارة

في سلام مع النفس أعددته بنفسي هذا الصباح، استلقيت على الأريكة المهترئة في شرفة المنزل، كوب النسكافيه بين يدي دافئ، والهواء الذي يمر ناحيتي مع أشعة الشمس التي تغطيني باردٌ جدًا.

لدوافع الكسل والحاجة للعزلة ارتأيت أن أقاوم البرد اليوم، أفكر بالتحولات والأفكار التي تغزو عمري بسرعة هذه المرحلة، الأفكار التي ظلت لفترة طويلة محجوبة خلف ستار حيث لم تتولد لدي من قبل شهوة بالافراج عنها وإزاحة الستار.

لم أنتبه لجارنا الوسيم الذي كان طوال تواجدي في الشرفة يراقبني، كنت أجلس بلا حجاب، نسيت وضع الشال على رأسي، ثيابي لم تكن عارية، لو كنت بحالة شرودي هذه في الصيف، لاستطاع هذا الجار الماكر أن يتلصص حتى على نهدي..

أشعر جدًا بقوة انسجامي مع التفكير بجرأة شديدة.

منذ دخولي الجامعة وأنا أشعر أن تلابيب جرأتي تفتحت أكثر من قبل، أصبحت بفضل رغبتي وصديقاتي مختلفة تمامًا، كلما تذكرت حياتي قبل سنتين ضحكت بشدة.

بالمناسبة في السنة الثانية في الجامعة أصبح يامن صديقي المقرب، كان معجبًا بي جدًا لكن كان هناك حاجز معين يقف بيني وبينه، حاجز يمنعه من القفز ويمنعني من التقاطه، شيء ما يخصه، ربما لعنة لا تفتك عنه، ربما امرأة تهدد أي علاقة وليدة تنشأ في حياته، أو أن عائلته زوّجته ابنة عمه منذ طفولته، لا أدري لكن إحساسا بهذا الشيء كان قويا، وأنا أحبه ولا أحبه، حين أختلي بنفسي، وأفكر برجل يقص ضجري، أفكر به، وحين فكرت بالحب ظهرت أمامي صورته، لا أدري تحديدًا ما أنا فيه..

يامن كان القاص الأول للحكايات الغريبة على حياتي، أجلس يوميًا معه على المدرج الجامعي، يحكي لي نوادر أصدقائه ورفاقه المجانين، المهووسين باللذات والكسل..

كثرة القصص التي سردها على مسامعي جعلتني لا أشعر بخطورة التورط بالخطايا، وصلت بي الحال ألا أخجل من مشهد قبلة على التلفاز ولم تعد تهرب عيناي من لقطة حميمية.

صرت أفكر بنفسي وأمقت شكلي الحالي، أريد أن أكون أجمل، أعرف أني مثيرة على حالي، لكن لا مانع أن أتجمل أكثر، أبدو أجمل بكثير من بدايات الفنانات قبل عمليات النفخ والتكوير، بامكاني أن أكون ملكة.

***

يامن

غنت سارة بصوتها الآخاذ للفنانة البريطانية ADELE ،
كنت أجلس مع سارة وكان الإرهاق يتملكني، الإرهاق يشتت تركيزي.
صوتها أيقظ راحتي من تعبي، أعجبني جدًا حتى أن عيوني انفلجت من الصدمة. أعرف سارة منذ سنين، لم أكن أعرف أن صوتها في الغناء جميلٌ لهذا الحد.

غازلت صوتها، لم أتلق ردة فعل عنيفة، تماديت في القرب، التصق جسمي بجسمها وهمست كلامًا يخترق قلب أي أنثى بسهولة ، لكن يا للهول، هذه الفتاة متماسكة جدًا رغم يقيني أن رصيدها في التجارب صفر.

لم ترتعش، حدقت بعيني بصلابة، ولم ترد، غامت لحظة صمت طويل قطعتها هي وقالت:

- موعد الباص الآن..

استأذنت سارة وذهبت مع مها التي كانت تركض باتجاه الباصات، أكره هذه الفتاة جدًا وسارة تعرف ذلك، لكنها تصرفت بهذه الطريقة كي تتخلص مني، ولا شيء على الرجل أسوأ من يقينه بأن هناك امرأة ترغب بالتخلص منه تمامًا لو كان قمامة أو عالة على القلب.

واسيت نفسي بتبرير لطيف، صوتها قوي حقًا، لكن طريقتي في ابداء اعجابي لفتاة أسعى للفوز بقلبها كانت طريقة سوقية جدًا، كأن يقول العاشق لحبيبته "عيونك حلوين" ويكتفى بهذا القدر!

أعتقد أن غزلي تُرجم لعقل امرأة مثلها بالرخص، وأدرك جيدًا أن الانسحاب والغضب قد يعزز فهمها الخاطيء لذلك، على رغم من تشوه شيئ من كرامتي ونزعتي الشرقية، لم أهرب.

في ليل ذلك المساء، ذهبت لمحل بيع الالكترونيات، اشتريت لها "مايكرفون" احترافي هدية، غلفته جيدًا وبقيت أنتظر الصباح طوال الليل، لم أنم، كنت متشوقًا لرؤية ردة

فعلها، طوال الليل ووائل لا يكف عن التلميح بما يفضحه شرودي وانسجامي في تخيل سارة بين أعناقي، أقبلها وألامس جسدها بخوف ورغبة في الأماكن العامة.

حجم التخيلات المهولة التي سيطرت بها سارة على حياتي أضاف صبغة تحد مجنونة على رغبتي المستميتة باكتساب قلبها، وصل الحد برغبتي بالانتقام من كل لحظات الولع والعذاب التي غمرتني في كل صدٍ قاسٍ سارعت بارهاقي به كلما تقربت منها في موقف أو جملة ما.

أحيانًا يتحول التغالي الشديد في الحب إلى رغبة بالانتقام يلغي بياض القلب ليحل مكانه سواد قاتم، التغالي في الحب مظلمة عنفوانها قاتل، سكين حاد تذبح شرايين الجسد ببطءٍ منظم.

سارة حتى أوقات الفراغ بين المحاضرات صارت تنفقها على الدراسة، كانت منكبة جدًا على المذاكرة وتهوى حصد أعلى العلامات في الدفعة، وعلى ذمة أحد المعيدين، أعلى علامات في تاريخ الكلية.

حدّثت صديقي محمود عنها،وتغزلت بها أمامه بلا كبرياء، لو تعرف النساء حين نُحبهن ماذا نقول لأصدقائنا من غزلٍ وما يغلبنا من ضعف وانكسار، ربما أفضل من طغيان

شرقيتنا في حضورهن، ربما زادت ثقتهن بنا، ربما كان هذا أفضل من كل هراء هذه الأيام.

حتى أن محمود أبدى اعجابه بشخصيتها دون أن يراها، فقط من خلال حديثي عنها، فيها من شخصيته الكثير، لا أعلم ماهيته، أعلم أنه تستفزني رؤيته وحسب.

بطبيعتي أحمل غيرة حقيقية اتجاه محمود، كلانا يحصل على ما يريد، الفرق في التوقيت، محمود أسرع مني بالولوج لمذاته الدنيوية، أضيع في دوامة علاقتي معه، محمود في آن واحد أكثر صديق يفهمني وأكبر أعدائي في الحياة ، لكن المسألة مزاجية غير ثابتة، وأنا عاجز عن تجاهل غيرتي منه، وعاجز على كتمانها، كل هذا يجهدني نفسيًا ويؤرقني ويعذب خيالاتي..

سارة

انخرطت جدًا بأجواء الموضة، باعتراف من يامن كل يوم أزيد جمالاً، يُشبهني بالزهور في ذروة نضوجها الآخاذ. قال أني مثل الشمس لا ينضب جمالي عن التألق والتأنق يوما بعد يوم.

تملكني شعور أنثوي، انبلجت في أحشائي رغبة شرسة في تفجير مشاعر الغيرة داخل قلب يامن، حقيقة لم يكن ذلك نابعا من حب بقدر ما هو تسلية عابرة، أريد تجربة الحب دون استخدام قلبي، تمثيلية يؤدي فيها الممثلون أدوار الغرام أجمل من الواقع، مغرمون بلا غرام.

خرجت من الدائرة المغلقة التي تربيت عليها بسرعة مهولة، متابعتي النهمة لمدوّني التويتر والفيس بوك المتمردين، ذوي اللسان السليط، جعلني أتقبل فكرة التمرد والخروج من الموروثات العقيمة دون أي إحساس بالندم.

كان ليامن صديق من نفس الحي الذي يقطن به في بلاده، يامن لم يكن يحبه، دائمًا يمتعض من مشاركته في المحاضرات، وكانت ترتسم على وجهه ملامح مقت شديد حين يُجيب على سؤال أمام الجميع. لاحقًا فهمت أن انزعاجه منه نتاج اختلافهما الشديد سياسيًا.

على ما يبدو أن حساسية الاختلاف السياسي في بلادهم تشابه التعصب الرياضي الأعمى في بلادي، الفرق أنّ الاختلاف عندهم أكثر دموية وخال من المزاح والسخرية.

دائمًا ما كنت أصد صديقه هذا، شخصيته غبية نوعا ما، لا يكف عن ارتداء اكسسوارات ساذجه، كلها تعبر عن انتمائه الذي يبدو لي مقززًا جدًا.

لست وحدي من ينفر منه، معظم صديقاتي على شاكلتي. يبدو من تصرفاته أنه لم يعرف من قبل أي امرأة في حياته، يفتقر جدًا للوسامة وحُسن التصرف في حضرة النساء، مغفل بالمعنى الشكلي، لكنه خدوم جدًا جدًا لدرجة تحفز الآخرين على استغلاله، أقصد بالآخرين النساء قطعًا.

في اليوم الذي دار بيني وبينه حوار، لم يستمر لأكثر من خمس دقائق، كان الفرح يفر من عينيه، أحسست أن هناك جناحين انبثقتا من ظهره وطارتا به سعادةً في أرجاء الجامعة.

خلال هذه الفترة من التمرد، تعلقت بالتدخين، كان أمرًا شهيًا أن أمسك السيجار بين أصابعي وأنفث في الهواء دخاني، أحببت حياتي معه، لم يكتشف أهلي الأمر حتى الآن، كانت قطعة علكة خالية من السكر كافية لتخفى آثار الجريمة.

وقد طرأ أيضًا تغير كبير على ذائقتي الموسيقية، هويت موسيقى الجاز والفرق العربية مثل، مشروع ليلى، وسط البلد، المربع، أوتوستراد، عزيز مرقة، مسار اجباري، آخر زفير، وغيرهن.

بداية التمرد أجمل من حصاد نهاياته، أحس بداخلي رجلا ثوريا سجين الضغوطات. في البيت اختلفت شخصيتي بشكل ملحوظ، أظل بكامل أناقتي طوال الوقت، وبراثين الظهور وحب الذات طغت على خارجي.

أنا لم أعد أنا، تغيرت أفكاري، اندثرت غصاتي وجاء دوري لأكتسح الساحة بما فيها من ملذات. الأشياء تتداعى وكل ما كان منكرًا صار مرغوبًا، لم أعد سارة الخجولة.

لا يمكن أن تكون الثورة كاملة دون حرية كاملة، وتمردي لم يكن كاملًا. كانت تنقصه وقفةً أخرى، أهلي ما زالوا ولاة أمري، يمنحوني المصروف والطعام، هذا ما يجعلني في أمس

الحاجة لهم، فكرة الاستغناء عنهم دون الاستقلال ماديًا، فكرة غبية.

مجرد ما بدأت التفكير بهذا الموضوع وأنا أحمل على عاتقي هم الاسقلال المادى التام، تقول المفكرة نوال السعداوي:

"يفقد الإنسان كرامته حين يعجز عن الانفاق على نفسه".

أظنني أتفق معها تمامًا، الخضوع للوالدين هو ذاته خضوع الموظفين للمدراء في العمل، اللهم أن الأول فيه قداسة أكثر، ومن مجرد فكرة أصبح الانفاق على نفسي همي الشاغل.

أعترف أني قُربي من أبي جعلني أفهم الرجال جيدًا وأفكر على طريقتهم بجرأة دون قيود وإن كانت في حياتهم قيود، القفز عنها أمرٌ مستحب، الكل يعلم حقيقة الأمر، في مجتمعنا حتى الخطايا التي يرتكبها الرجال، محط اعجاب الأخرين، زير النساء والنصاب والظالم والغامض، هذا الصنف من آدم الأوفر حظًا من حيث السلطة والاعجاب ونيل المراد.

ماذا أفعل ، من المستحيل أن يسمح لي والداي بالعمل والدراسة في آن واحد، صحيح أنّي أعمل بالتطريز لكن على نطاق ضيق. ما فكرت فيه للخلاص من التفكير في هذه الدائرة المغلقة، هو تطوير عملي بدلًا من البحث عن عمل جديد، فكرت في تأسيس متجر على الانترنت لبيع المشغولات اليدوية، لم يكن التسويق صعبًا، لدي عدد جيد جدًا من المتابعين، كنت مهتمة من قبل بتطوير مهاراتي في مواقع التواصل الاجتماعي خلال السنتين الأخيرتين، زميلي يامن أيضًا لديه عدد مهول من المتابعين، لذا التقرب منه صار غاية القلب والعقل بنسبٍ متفاوتة. المشكلةأنّ عواطفي اتجاه يامن همدت قليلًا منذ تعمدت اغاظته، فشلت في استفزاز غيرته، كان يدرك غايتي المضمورة لذلك لم أفلح وتراجعت عن تلك الفكرة المسلية.

لا يؤسفني التراجع، يؤسفني ألا أكون قادرة على معالجة نفسي ذاتيًا من أي شعور يحاول استحكام قبضته على شخصيتي، بنظري الأهم من الحرية الاجتماعية والسياسية، الحرية الشخصية، أن أكون حرة حتى من نفسي، لا تتلاعب أي مشاعر داخلي سواء كانت سوداوية أو سلبية بحياتي.

أنا لست مثل الأخريات. أنا مختلفة وأستحق أن أكون حرة، حرة من داخلي ومن خارجي، حرة لا سلطة على تصرفاتي إلا المعرفة والمنطق، أنا بعيدة جدًا عن كهن النساء.

كلنا على يقين أن هناك من النساء ما يُسيء للنساء أكثر من معشر آدم قاطبة، لم أفكر ضد النساء من قبل على الرغم من مرارة الفكرة، في كل مرة أراعي نيران المجتمع التي تُمطر رأسي ورؤوسهن بين كل موضع وحكاية.

في كل مرة أتردد، أخاف كراهيتهن، لأن النساء كائنات مهما تمسهن الشوائب، يظلوا الأجمل وأنا امرأة وأعرف ذلك، تخصهن السيئة وتعم على معشرهن الحسنات..

لكن، لا طريق بلا حواجز ومطبات، هل يكتمل الفرح؟

هنالك نساء يحتلن قمة الغثيان، أولئك اللواتي يستغلون أجسادهن لإثارة فحل، أو لإثارة مشكلة تقودهن لسلطة.. والرجال بمعظمهم سُذج، توبخهم أمهاتهم على كل خطيئة. أتأملهن بتقزز وأسأل نفسي، ألا تشعر تلك النساء بتصرفاتهن المسيئة لغيرهن؟

وهناك نساء أيضًا، فاسدات في الحب، عن طيب قصد أو مرض، تحفزهن عُقد النقص على التصرفات الصبيانية، يُصبح الحب مادة دسمة يتغذى عليها العشم، مادة تظل تتآكل شيئًا فشيئا حتى تفنى. مثيرات للسخرية أولئك اللواتي يضعن معايير الحب شرطًا لتلبية أمنياتهن من عدمها. وثمة نساء أخر، يصل غرورهن منقطع النظير إلى حد اعتبار أنفسهن محور الكون، مزاجهن المقام الأول الذي يحج إليه الناس طوال الوقت، وعلى الكافرين نار الجحيم!

أما النوع المقزز تمامًا، عاشقات الدراما، واللواتي على استعداد أن يجعلن بدموعهن الصحاري شلالات في سبيل تعاطف هالك، تعاطف لقيط، ممزوج بالكذب والنفاق.

ويظل هناك أيضًا، النساء اللواتي يشبهن الذباب في اصرارهن العجيب على سحق الرجال، لا يملون من عزف النشاز على مسامع الرجل،يصبح أقصى آمال الرجل الهروب منهن، وتنفيذ أوامرهن مهما كانت عقيمة، لا شيء يقتل الرجل مثلما يفعل الزن المستميت والذي تحترفه النساء جيدًا..

كل ذلك غيض من فيض، ذلك ما يجعل صورة النساء مهزوزة أمام العمل والجد، كل ذلك يجب أن أتخلص منه الآن قبل الغد، لأكون حرة وقادرة على انتزاع حقي في الحياة والتفكير، ويا لشقائي لذلك.

محمود

أظن أن القلق والخوف شعور دائم يظل يرافقني صباح مساء، أليس هذا ما أردته؟

لماذا ورطت قلبي في حب امرأتين؟ وتسليت بالعشرات؟ هذا السؤال الذي أخاف مواجهته، إن الأمور التي دفعتني لهذه العواصف، دوافع حقيرة، دوافع تعريني وتعكس مدى وضاعة البدايات.

اخترت نور وسماح وأنا أعلم استحالة أن تكونا من نصيبي يومًا، ذلك ما خططت له، جعلت أسباب الفراق بيننا بيد الظروف، كنت أمهد لهروبٍ آمن منذ البداية.

كنت أستغرب تعميم النساء السيئة على كل الرجال، لكن بعد تأمل الموضوع بهدوء، اكتشفت أن ذلك أضعف الايمان، على النساء أن يقتلن جميع الرجال ليفرغ هذا الكوكب من الظالمين .

يؤلمني قلبي جدًا، قبل سنوات لم يكن قلبي يفكر بخير، كنت أشعر بنشوةٍ لإيلام الناس، قبل سنوات كنت حاقدًا على النساء، أكرههم وأتلذذ على الدموع المسكوبة من أعينهم، صراحة لم أكن أتعامل معهن ككائنات ترتقي لدرجة انسان مثل الرجل، كنت مريضًا إلى أن تورطت مع نور وسماح، تلك النسوة اللواتي جعلوا قلبي سويًا قليلًابعد أن كان داءً خطر. تعلمت من التجارب، أن من يستحق الحب والاحترام هو من يُحبك، وأسوأ العلاقات من تُحبه ويُهملك.

نور امرأة متزوجة تتحدى المستحيل لكى نلتقي دون تعريضي للخطر، زوجها من علية القوم، تُمثل له السمعة والصيت أغلى الأشياء، وهي في نفس الوقت امرأة فاحشة الثراء، المال أحد أكبر أسباب تعاستها المزمنة، وهو السبب الذي أجبرها ألا تتزوج رجلًا من غير أبناء عائلتها، والسبب الذي جعلها تحسد الخدم الذين يعملون عندها وتراهم أكثر سعادة منها.

نعم، يوجد في قلوب النساء ما لا يوجد عند باقي المخلوقات، لماذا تغامر امرأة جميلة بحبِ وحش؟ يراودني السؤال كثيرًا خصوصًا بعدما شاهدت الفيلم الكرتوني الحسناء والوحش، في البداية ظننت النساء سذجا في مقاييس الحب، ظننتهم وخاب ظني حين توسعت مدارك فكري وفتحت أجنحتها للكون والتكوين..

فالنساء هن الرائدات في بلوغ أعلى مراتب العشق، العشق الذي تتهاوى أمامه مقاييس الجمال المطاطية، تلك التي تُبنى على الفروقات الشخصية واختلاف الأماكن وتنوع الظروف، لقد أحبت الأميرة في الوحش روحه، وهل هناك أثمن مقدارًا من هوى الروح؟

لهذا أظن أن النساء تتفوق على الرجال في الحب، فعشق الروح لا الشكل يظل الأعمق والأكثر دويًا في خندق المشاعر، مظهر الرجال الفطري عند النساء ليس له اعتبار يذكر مقارنة مع مظهر النساء بالنسبة للرجال، إن عشق النساء للروح هو العشق الذي لا تمتلكه باقي المخلوقات، هو الأسمى والأجمل والأرقى..

حاربت نور زوجها وعائلتها سنوات طويلة كي تظفر أخيرًا بالعمل في وظيفتها الحالية، لم يكن الراتب يعني لها شيئا على الصعيد المادي، لكنه يعني كل شيء معنويًا، النافذة الوحيدة التي تتنفس منها هواءً نقيًا بعيدًا عن حصار الأهل والزوج، والمبرر الوحيد الذي يجعل لقائنا ممكنًا.

تضطر نور لأن تضحي بجسدها يوميًا أمام عرين العنكبوت، كالذبيحة، تقديمًا لفروض الطاعة، كان الجنس هو القربان الدائم الذي تفتدي به كي تظل في وظيفتها،

زوجها لم يكن سويًا، يمارس على السرير أمورًا مقرفة لا يمكن لأي امرأة لديها ذرة عقل أن تتقبلها، كانت ذليلة تمامًا أمامه.. قصتها أقوى صفعة ألم ألمت بحياتي، كان لها الفضل بأن أعود إنسانا أحس بأوجاع الأخرين ومشاكلهم، علمتني الحياة المغامرة وعلمتها الخيانة، جمّلت لها ذاتها وزينتها بأحلى المفردات، ثم ... سقطتُ فجأةً شهيدًا في غرامها... ربما.

الموت ليس قاسيًا للدرجة التي نُفضل عليه العيش في هذا الهراء الذي يُسمى مجازًا حياة، لا يمكنك العيش سعيدًا سواء كنت جيدًا أو شريرًا، جربت الاثنين، وفي كل مرة أندم أني كنتُ واحدا دون الأخر.

أما سماح، التحقت هذا العام في نفس الجامعة التي يدرس فيها يامن، كانت من قبل تدرس في جامعة بعيدة عن العاصمة، تقع في أحد الأحياء الريفية العشوائية، سماح مغتربة هجرت وطنها بفعل الحرب المشتعلة.

سماح من أجمل ما أبصرت عيني من نساء، وهي أكثر الأسماء ارباكًا لقلبي، عينان واسعتان تعيش في كل حدقة مجرة، وفي كل مجرة عوالم وأكوان ضائعة في عشوائية متزنة، فيها كواكب مضيئة، لامعة كرذاذ الماء المعلق في

الهواء والمعرض لسحر الشمس وأعواد شعاعها، في كل عين مجال واسع للتأويل والتأمل والغرق.

أن تصادف امرأة بعقلية طفلة، أن تخبيء امرأة خلف براءتها الكثير من المفاجآت الحلال، أظن أن هذه فرصة لا تتكرر، تلك النساء التي تضاهي الذئاب في حلاوة عيونها والحمام في براءته، لا يمكن ألا تعجب بها، الطفولة في ملامحها مستفزة للحب كوجنات الأطفال الصغار.

الجيد في علاقتي مع سماح، أنها غير متزوجة، منذ البداية وأنا أبني في علاقتي معها طريقين، منفذ للهروب، وخطة للبقاء وعلى وزر الأيام والظروف تحديد الطريق الأنسب.

شقتنا قريبة من جامعتها، وجود سماح في نفس المنطقة الموجود أنا فيها كان في البداية فكرة مرعبة قيدت حريتي لفترة لا بأس بها، لكن مهما ساءت الأمور، مع مرور الوقت سنتأقلم معها، التأقلم والتغير طريق النجاة التي نعرفها جيدًا نحن المغتربين.

نور وسماح، لا أعرف من أخون منهما، لا يشعر الخائنون بالخيانة وهم يرتكبونها، خصوصًا أولئك الذين يظهر في حياتهم حب جديد يلغي على الأقل نصف المشاعر اتجاه

الحب القديم، يعطون الحب القديم اهتمامًا مقلقا، مثل الريح، يومًا ثائرًا وجميل، ويومًا بشعًا لا نسيم فيه.

بشكل ما لا أفهمه ولا أعرف كيف تقررت الصدفة إليه، أصبحت سماح صديقة مقربة لسارة زميلة صديقي يامن.

بالمناسبة يامن وحده قصة مختلفة، أحب فكرة وجوده، لا أحمل اتجاه أي محبة مباشرة، لكن محبتي في اغاظته واستفزازه لا تنفذ، ما لم نتلاسن يوميًا، أحس بشيء ناقص، يومًا غير مكتمل.

***

وائل

البرد قارصٌ جدًا، والرياح معبأة بالغبار، جلست على الرصيف أنتظر حمادة أمام الصيدلة، كنتُ في حاجةٍ ماسة للحشيش هذه الليلة، يغتالني حنين قارس، يعضُ قلبي بجهامة ولا يفتك، وعدت نفسي أن أبكي على حالي إذا شعرت بخيبة ولا أكابر على وجعي، أحرره تمامًا من كل القيود. اليوم يصادف حفل زفاف حبيبتي ياسمين، حفل زفاف الغالية، حفل زفاف الحب الوحيد، الأول والأخير، اليوم أحتفل مع السجائر بخيبتي الكبرى، اليوم لن أبكي، اليوم حفل تتويجي جسدًا بلا روح.

أسكر من خمرة الحزن وحدي، بعيدًا عن عيون الأصدقاء، اليوم أنا.. أو حزني، إما يهزمني أو أهزمه.

جاء حمادة، وأنا أدفن أعقاب سجائري في الأرض، كان هيئته مختلفة، مقتنع تمامًا أنه لو غير قصة شعره لن

يعرفه أحد، حمادة تاجر حشيش مغترب، ليس من سكان هذه البلد، خطورة القبض مصيبة وفضيحة كبيرة قد يُرحل على إثرها من البلد، لذلك يسرف في التنكر والتخفي.

أشتري الحشيش من الباعة بطريقة عادية، لكن مع حمادة الأمر مشوق أكثر، تشعر بالأهوال ترافقك، كأنك تعيش في أحد أفلام الأكشن.

السبب الذي يحفزني للشراء من حمادة دون غيره، حمادة ابن حلال، لم يغشني من قبل، الحشيش مضمون الاستخدام، يملك خيارات كثيرة، حشيش أفغاني، لبناني، مغربي.

سأتجاوز الحديث عن هذا الموضوع، وأعود بنفسي من هذا الطريق البارد، لبرد نفسي أتقوقع معه في غرفتي أنا وصوت سعدون جابر، الأغاني العراقية خمرٌ عالي الجودة، حالة انتشاء ولا أجمل، حتى الحزن في حضرتها يصير أوسم من الفرح!

أنا أحترم حزني وأعطيه بلا توقف، سخي معه، أهتم به وأُجدل خصلاته كما لو كانت خصلات شعر ابنتي الصغيرة، هل يحدث عادة أن يُغرم أحد بحزنه؟

الأرض ليست وطنا، الحزن هو الوطن، وحده الانسان من يحزن، الحيوانات تلعق بلسانها جراحها وينتهى الأمر عندها عند هذا الحد.

أشفق على أولئك الذين لا يعرفون الحزن، أولئك الذين يبدلون آلامهم الإنسانية، بالألم الحيواني الخالي من العمق، والذي يداويه الوقت بسطحية وسهولة.

وصلت البيت، أحضرت ما يكفي لتصير عزلتي ثرية، الحشيش والسجائر، المشروب والموسيقى، بعضٌ من الذكريات، والكثير الكثير من الفكاهة.

جلست أتذكر خسارتي لياسمين وفي الوقت نفسه أتأمل حولي النعم، أبتز كسرتي بحُسن حظي، أتذكر آلام الناس الموحشة، أحزاني أمامها لا شيء يذكر. أضعف الإيمان أقول، لا أحد يموت من الحب، الناس تموت جوعًا ولا تموت من الفراق، هذا لأن الانسان يتعايش مع الألم، كما أن الألم ضروري للشعور بالنقائض وتقديرها..

أظن أن الحب المتوج بالفراق، لا ينتهي، يظل عالقًا بالذاكرة، كرصاصةٍ في العظم التحمت مع النسيج.

على كرسي الجلوس، أمام المرآة، أطلقت لمخيلتي العنان، صارت تحكي قصتي مع ياسمين، سأتقمص شخصيتها بما فيها الشيطان الصغير الذي يسرح مرحًا في قلبها المزدوج..

الآن ستلبسني ياسمين كما جنٌ يتحدث بلسان إنس، ستقص حكياتها من شفاهي:

"زواجنا هو أكثر الأعياد التي مرت علينا ابتهاجًا، لم يبخل زوجي على الزفاف، انتصر لكل ملذات الحياة، كان يومًا بكل ما تعنيه الحرية من معنى، يومًا وضعتُ فيه قلبي خلف ظهري ومضيت، على عكس كل القصص القديمة، لم يغصبني أحد على الزواج من شيخ القبيلة،إنفجرت موافقتي من لُب قناعاتي وحدسي بأن الحياة معه أفضل.

نمت في حضنه ليلتها، لم تراودني مشاعر خوف أو تردد، استمتعت وكان الشيب في شعره يثيرني ويغريني، لم أجد عيبًا ولا نقصًا معه، كانت الملذات تعبَدني واحدة تلو الأخرى. عشت نشوة السلطة حيث ما أقوله يُطاع مهما علت درجة استحالته.

وفرة المال تحوّل الشيخ شابًا، والشاب كهلًا، السعادة تُشترى أحيانًا، وأنا اشتريتها بثمن بخس، لا يساوي شيئا، المقابل لم يكن سوى أحلام وردية عشت تلابيبها وأدمتني.

العسل مع زوجي تجاوز الشهور وما فتيء يتجاوز مقاييسه بخفة الطير، أتوق شوقًا لرؤية زوجي، تسحرني نظراته، عيونه المتعطشة، لمساته الحنون، خبرته اللامعة في التعامل مع نحري وكياني.

علمني رقصة الدحية، صخب ذلك اليوم ما زال يدوي في رأسي حتى الآن، صوت غنائه وضحكاتي وفرحي ونظرة الامتنان في عينيه لا أنساها، ما أجمل هذه الأشياء التي تغيب عن ذاكرة العشاق، يقول : أعدت له شبابه، أقول، معك أشرقت أنوثتي وطفولتي..

زوجي رجلٌ صالح، عَمر البادية وبدل الخيام بالبنايات العامرة، رأينا بفضله الأشجار تتلوى أفاعي حول البيوت، تمنحها مظهرًا جذابا، نوافير الماء تنبع من كل مكان، باتزان، بأناقة، أغدق على كل أفراد القبيلة دون استثناء، بفضله شُيدت مدرستان ومكتبة كبيرة، ومركز لمحو الأمية، بَدل في خمس سنوات العادات المهترئة بالأفكار التنويرية، لملم شتات الحياة وضجرها وألقاها على ظهور الخيل لتحملها بعيدًا عن عقول أهلنا والناس.

أطراف أصابعه الخشنة، تدلّل جسدي، تثيره بجنون، بشرة جسده تلتحم في جسدي محدثةً داخلي شعورًا كيميائيًا بالطيران، خصوصًا حين تنغرس يداه في ظهري وتفتح الباب لأجنحتي التي لا تظهر إلا من تعويذة لمساته.. يطبع قبلةً على عنقي، أرتجف وأرتعش استعدادًا للتحليق في الأفق، الأفق البعيد، حيث الخصوصية الجميلة، والعزلة المستحبة.

كنت أحب يومًا طفلًا ورحل، كان الخلاص منه معاناة قاسية وقارسة أكثر من برد الصحاري، والخروج منها بمثابة خروج جسدٍ حي من أنقاض القصف والخراب، في النهاية، تنتصر ارادتي، إرادة المرأة.

كان قد مر على وداع تلك المراهقة الصبيانية ثماني سنوات، هي ذاتها السنين التي مرت على زواجي من شيخ القبيلة، هي ذاتها السنين التي لم تزرع السماء في أحشائي ثمرة، سنوات لم يتكور فيها بطني، ولم تُلمّح فيها دورتي بمجيء طفلة. بداية الحنين إلى الأمومة، أول مسمار دب في حياتي الزوجية، لطالما ما كان زوجي يحاول ان يمنعني من التفكير به."

قطعني خط أصفر، جاء من الشمس معلنًا موعد الصباح، اختفت المشاهد من عن المرآة، عادت صورتي تحتل المكان..

صداع يمرح في رأسي، فوضى شعري تُجبرني على الوقوف والاقتراب من المرآة، مؤلم هذا المظهر، يمزق قلبي كورقة طلاق، ضاقت السبل مبكرًا، أمضيت وقتًا طويلًا واقفًا أمام المرآة، لم يكن السبب شعري غير المرتب، بل كان أنّي كلما وقفت أمام المرآة، تخيلتك خلفي، تقتربين صوبي، تعانقيني من ظهري، وعيناك تفترسان بالنظر عيني، شدة الشوق فيهما ترعبني..

يا حبيبتي

إذا كان هذا الألم الموحش أصابني هكذا منذ الصباح، ماذا عن بقية اليوم، عن بقية الساعات، عن صوتك المثلج الذي يعانق ذاكرتي كالمشانق، يخترقني كالحوادث، ويراكم في قلبي مزيدًا من العذابات..

حبيبتي

إني أتضور شوقًا إليك

إني أتضرع إلى لقياك..

أعود أدراجي، أرتمي على السرير، أفتح الهاتف المحمول، وأرميه جانبًا، تمر دقائق، يرن الهاتف، أتناوله بكسل، أنظر للرقم، أرتشع وأرتعد من المتصل، إنها ياسمين..

***

يامن

سارة تلاعبت بمشاعري ببساطة، وإصراري على الفوز بقلبها صار هوسا على الرغم من كل الغصات، لذلك المؤامرة هي الحل الأسلم للفوز بقلبها، والكف عن مطاردتها على الدوام.

لا بد من اختلاق مشكلة في حياتها، وعلى إثرها يجب أنّ أكون بجانبها، أسهل طريقة لأن تحبك امرأة، أن تقف إلى جانبها وتظهر في الوقت المناسب سندًا لها. استطعت اختراق المتجر الاكتروني الخاص بها، لم تكن تعرف أني وراء ذلك، غرضي من هذا أن تحتاجني فأساعدها، أنا أعلم ماذا يعني هذا المتجر لها ولعائلتها، وأدرك أنه السبب وراء كل التغيرات التي دبت في شخصيتها ومركزها، مهدت لهذه الحيلة من قبل، ذلك عندما طلبت مساعدتي في الترويج لصفحة المتجر، قلت لها إني أجيد أمور الاختراق وما إلى ذلك.

ذلك كان من الطبيعي أنّي حين اخترقت متجرها، أن تلجأ لي كما توقعت، بالطبع أعدت لها المتجر دون دراية منها أني في الأساس من قرصن معلوماتها،أدرك حقارة هذا التصرف، خصوصًا أني اضطررت للتلصص على معلوماتها الخاصة من هاتفها الشخصي، هذا حين نسيته في مرة أثناء انتظارنا لحافلة الجامعة التي تقلها للبيت نهاية الدوام، أقصد أنّ قرصنتي لصفحاتها ليس ذكاءً مني، بل خيانة، أخبرت صديقي محمود بهذه الحكاية متباهيًا بحنكتي أمامه..

سارة بذلك كانت ممتنة جدًا، لدرجة أنها اعتبرتني أنقذت حياتها!

في نهاية اليوم،خلت الجامعة من تكتلات الطلاب والحراس، جلستُ معها خلف الحافلات ننتظر، كنا وحدنا، حتى سائقو الباصات من كثرة ما اعتادوا على رؤيتنا معًا تخلت عيونهم عن مراقبتنا.

حدث ما يُسمى في الدهر ما لن يتكرر، جاء بلا ترتيب فجأة، أجمل يوم فيما مضى من عمري وما سيمضى..

***

سارة

لم تكن لي أية تجارب سابقة، أول قبلة في حياتي جاءت مفاجآة، لم أتخيل ولو حتى على سبيل الحلم أن تكون القبلة الأولى مُبادرة مني، لم أكن أعلم أنّي سأبادر بتقبيل رجل، لم أدرك ذلك إلى أن أفرجت عن شفتيه اللتين أسرتهما شفتاي وتسببت له بصدمة وذهول حولته لتمثال جامد!

شيّعت قلبي وأقبلت ألتهم شفتيه بقلبٍ مطمئن وجرأةٍ صادقة، أنزلت في قلبه الغواية والفتن، لا أدري كيف فعلت ذلك، ربما لأن أحلامي الحميمية لا يوجد فيها رجلٌ غير يامن.

همست في أذنه:

- هذه القبلة لوقوفك جانبي في محنتي.

وجدت نفسي أضمه، يداي تعانق جسده وتشده لجسدي قليلًا، غرقت في أحاسيس مختلفة، برد وحر، ومشاعري متأرجحة ما بين خجل وجرأة، تماسكت قليلًا وقلت:

- وهذه لهديتك الجميلة.

وحين فرغت من هذه اللحظات، هممت بالهروب، ظل مذهولًا.أنا أعلم أنه يريد ذلك بشدة، وأعلم أنه مدرك تمامًا كم هو بعيد عني هذه اللحظة، لكن أنا سارة، اعتدت أنّ أكون استثناء، أختار وأعيش على راحتي وكما أشاء ولا يمنعني الخجل،الخجل عندي نوعان، نوع أنيق مثل الحزن، والآخر بغيض مثل الضجر، الفرق بينهما أن الأنيق لا يمنعك من الجنون، أما البغيض خجلٌ يقيد حريتك، ويمنعك من المبادرة، ويبتليك بشخصية ركيكة مهزوزة لا قيمة لها في مصانع القوة.

أما على مستوى العاطفة، لا أحد مضطر لأن يخضع لقلبه، العقل هو الكل في الكل وما القلب إلا بوق صغير لا يخرس، هذه قناعاتي...

لكن إنْ غلب القلب العقل، يأتي النسيان يداوي ما أفسده القلب، النسيان أكثر شعور جدير بالاحترام والتقدير بالمناسبة.

لا أريد الوقوع في حب أول رجل يدخل حياتي بعد دخولي الحياة الجامعية، أنا من قبل علاقتي شبه معدومة مع الرجل، الجامعة حرية، لذلك قررت من البداية ألا أجاري اندفاعي، تركت عقلي منها في نهاية كل حدث يذكرني، الكثير من النساء تشتهي الصداقة أكثر من الحب، بعضهن يقبلن على الحب ويهرولن إليه لأن الصداقة في بيئتهن محرمة، المناص الوحيد لهن، الحب داخل أسوار الأسرار.

أنا لا أهاجم الحب، أنا لا أنصر الصداقة، أنا يوجعني أننا نفتقد

الإحساس بالمشاعر الجميلة، السهلة، المفهومة..

كل تجربة، كل لحظة مختلفة، حين أفكر بتفاصيلها بهدوء وتجل، أعرف وأستنتج ما لم أتعلمه في بيتي ولا في المدرسة..

وصلت الحافلة!

***

محمود

نور، صوتك الأخاذ يحرثني ويذوبني، يسقيني ويُقلمني، ويأخذني حيث يشاء مزاج الريح، أنا طوع قلبك، أنا طوع شغفك، أنا من يُحسن من بين الكل الانصات لصوتك.

يومًا ما ستدركين أني لم أكن أحبك وحسب، بل كنت أحاول جعل الكوابيس أحلاما وردية، هل تدركين ماذا تعني محاولتي جعل الرماد سمادا طيب المعنى والغاية؟

أما أنت يا سماح...

يا زوجتي المتخيلة، حكم تلاعب الزمان على لقياك بعد فوات الأوان، أسفًا على الزمان وعلى الخيال.

ماذا أقول الآن، هل أستحقك؟ هل أكسر الأعراف والطموحات الخجولة؟ هل أركض إليك مثل الصبيان

العارية؟ ماذا أفعل؟ هل أصلي الاستخارة وأقول، يا رب اهد قلبي للصواب وقلبي معلق قلادةً على صدرك؟ بين نهديك لا يريد الفرار؟

علقتُ على مشانق الارتباط امرأة لا أقوى على دمعتها، لا أقوى على قهر تضحياتها، لا أقوى على جرح سذاجتها. لا أقوى على المضي قدمًا معكِ دونها، لا أقوى معها على إلغاء عشبك الفوضوي الذي يغزو قلبي سريعًا ولا يرحم، كأشجار الزنزلخت؛ كالأشجار الغازية.

أوجع الأوجاع يا وجعي، وجع نابع من رغبتي، لا من رغبتك، لا ذنب لك فيه، لا القطب السالب يشكي ولا القطب الموجب يعترض، إنما أيدي الأقدار التي تضع كل قطب في قطر.

لولا وجود نور لكنت مع سماح عاشقًا لعاشقة واحدة، لفكرتُ جديًا في الارتباط بها، بدأ هذا يتضح جليًا بعد انتقالها من جامعتها للجامعة التي تقع في الحي التي أقطن فيه، بالأخص أنها أصبحت في مقام جارتي أيضًا.

خروجي معها واطراء الناس على كوننا ثنائيا مميزا، جعلني أراها زوجتي مع الأخذ بالاعتبار استحالة الأمر في وجود نور التي لا أقوى على التفكير بجرحها يومًا، انسحابي

من حياة نور يعني بشكل صريح التسبب في انتحارها، نور تكاد تعبدني لكنها متزوجة، وسماح شخص لا يقبل بأنصاف الحلول..

الأمور من هنا بدأت تتشابك مع يامن ووائل، والحلقة الأولى كانت بصداقة سماح وسارة، ثنائي العذاب الذي لا أدري إلى أين سيأخذنا، كما ذكرت سماح تعرفت على سارة من خلال صديقة مشتركة،ومع تكرار لقاءتهما صارتامقربتين جدًا من بعضهما، يعني أن سارة صارت لسماح أقرب من الطالبة التي عرفتهما على بعضهما البعض.

والأمور بدأت تسوء بيني وبين سماح منذ تلك الصدفة اللعينة، حيث كان يامن في بداية علاقته مع سارة، يسرد لها الكثير من قصص حياتنا أنا ووائل، بدا لي أن سارة تعرف عنا فقط الجوانب السيئة، الحقد المدفون داخل قلب يامن اتجاهنا كان هيجانه يطفو في التفاصيل الصغيرة التي تشبه هذه.

ولا شيء أكثر إثارة للجنون من اتفاق امرأتين ذكيتين، قارئتين جدًا لعقلية الرجل، بقوتهما معًا هما مؤهلتان لإعادة تربية الرجال من جديد.

بعد أن فاض بي ولم أعد أطيق احتمال تصرفات يامن أكثر، اتصلت بوائل ودعوته لاحدى المقاهي الشعبية التي نرتادها منذ قدومنا لهذا البلد.

أخبرت وائل بكل ما تفوه به يامن لسارة، وكيف تسبب لي ذلك بمشكلات كبيرة مع سماح، ولا أدري إذا كانت سماح تعرف عن موضوع نور أو لا، في كل حادثة مشابهة أتجنب مفاتحة يامن بما أسمع من ترهاته، سواء أنا أو وائل، نتجاهل الأمر تمامًا.

اتفقنا أن نفاتح يامن بالموضوع سويًا في البيت ونخيره بين الكف عن تلك السخافة أو خروجه من الشقة، يعني أن لا نقيم مع بعض في مكان واحد مجددًا إذا تكرر تصرفه مرة أخرى.

الجو كان باردًا جدًا لذا لم نجلس لوقت طويل في المقهى؛ المقهى مدينة البؤس والسعادة للمغتربين، في الحزن وعند لحظات الفرح المسروقة حاضرة.

حل وسيط لكل المتناقضات. تخاطب الذوق الرفيع المجرد من المادة، أكثر ما يليق بالعدل.. القهوة!

ثورتها على الغاز، رسالة غضب، ورفض للسكوت، قناعة باللازم من حرارة الفؤاد، لا تتخلى عن ألقها، في مرارتها حلاوة الدنيا.. ما أجمل الدنيا في حضرة القهوة، أُنس وصحبة يتذوقها القلب قبل اللسان، تنتشي على جمالها العين، تساوي بين الحواس كلها، في الرضا والقناعة.

يا صحبة العمر يا قهوة، يا من تُقبلين شفاه النساء بتمرس كعاشق متمرس في غابة الحب، بكل حب وغزل تمرين بين أفواه الرائعين.

الكراسي كانت في الشارع وضربات الهواء البارد تقرص في أقدامنا، استأذنت النادل وأعطيته الحساب، كانت سيارتي معي، السيارة التي أهدتني إياها نور.

تحركنا بالسيارة، أخذنا الطريق الطويل إلى البيت، ذلك لكي نستكمل محادثتنا التي منعنا البرد من استئنافها في المقهى.

اقتربنا من الشارع الفرعي الذي يقود لشقتنا، كانت هناك سيارة سوداء متوقفة بشكل مواز لبداية الطريق، كلاب الشوارع كانت متجمعة حولها، لم يكن المشهد مقلقًا كثيرًا، طبيعي وقوف السيارة في منتصف الطرق لفترات طويلة خصوصًا في الليل، غير الطبيعي أن تتحرك ثلاث

سيارات فجأة باتجاهك وتطاردك، كما لو كانوا مصاصي دماء وخرجوا من قبورهم للتو، وبدأت مطاردهم لرقابنا.

لا أستطيع تفسير الظهور المفاجيء للسيارات الثلاث بهذه السرعة، لمعت شرورهن من الشوارع الجانبية في لحظة واحدة،الشيء الوحيد اليقين كان الموت.. موتنا أنا وصديقي.

حوصرنا وانفجر من قلوبنا خوف غيم الدنيا سوادا، لا يمكن لأحد أن يستوعب حجم المشاهد والأفكار التي تمر أمامه في لحظات قبل الموت، عدد مهول. تحت التهديد والخوف، أظن العقل يعمل بأضعاف طاقته الطبيعية في هكذا ظرف.

استسلم عقلي، لا أعرف ماذا أفعل، قدمي تستعد للضغط على دواسة البنزين، والأخرى ضاغطة بقوة على دواسة الوقوف.

نزل من كل سيارة رجلان وكان معهما عصيان عريضة، أول ما فكرت به في تلك اللحظة، أمي، أمي التي تحبني وأنا لا أستحق هذا الحب، طوال حياتي وأنا من يدب في قلبها الرعب من طيشي الشديد كما تسميه.

لا أستطيع نسيان صوتها وشهقة بكائها حين تسرب لها قراري بالهروب إلى أوروبا عن طريق البحر، تحولت أمي من المرأة التي تصرخ وتضوج في البيت،من الآمرة الناهية، القوية المتماسكة، إلى المرأة الرقيقة التي على استعداد للركوع أمامي حتى أتراجع عن هذا القرار.

- آه يمه، شو صار عليكِ يا حجة مني.

لكن من هؤلاء، من، أحاول الفرار مضحيًا بالسيارة، ظافرًا بأرواحنا، وأفكر، أفكر وشفتاي تعاني مع ذهني، من قد يكون خلفهم، لم أجد إجابات، الأمر الذي أثار عاصفة في أفكاري لباسهم الأنيق، لهجاتهم المختلفة وهم يتبادلون الصراخ من بعيد..

***

سارة

خلال الطريق، أمطرني يامن بالرسائل، نصفها غير مفهومة تنم عن ارتباك واضح، والنصف الآخر غزل مبالغ فيه ينم عن تهور يعكس ما كان يخفيه من أمنيات عتيقة. كنت مبتسمة في الحافلة، لم تُصبني أي مشاعر ندم، أحسست أني تفوقت على نفسي حين اخترت تقبيل رجل فكرت به من قبل، بادرت بالقبلة الأولى، كان هذا شرفا توجت نفسي به، لن أنسى ذلك، قررت أن أكون استثناء، أنا أول من يبادر وأول من ينسحب، وفي الوقت الذي أشاء.

بيني وبين نفسي كنت أتلذذ على رسائله، لم يتوقف يامن عن الإرسال، كنت أرى كلامه لكن لا أرد، أردت استشاطة شوقه أكثر، أردت رؤية لهيبه أوضح، أردت أن يغطي دخان غضبه أجواء المدينة.

كنت أتفقد هاتفي باسراف شديد إذ توقف عن الارسال، لا أدري كيف يصبر الرجال على هذه التصرفات، أتذوق الشوكلاتة بينما لا ينضب عن التلوع شوقًا لكلمة، أعرف ذلك وذلك يضيف نكهة مميزة للشوكلاتة، ربما أنا مريضة لا أدري، لا أعرف حقًا، أعرف أني كنت سعيدة جدًا بذلك.

أسلوب العطاء بالتنقيط مع يامن لم يأتِ من فراغ، سمعت الكثير عن حياته هو وأصدقائه، من سماح، صديقة محمود، زميله في السكن.

استنبطت من كلامها ومن حديث يامن عن أصدقائه كيف ينظرون للمرأة بمادية دون إحساس جدي، بعض الرجال في هذا العمر، تمثل لهم المرأة لعبة يأملون الحصول عليها، وحين يمتلكوها، ما أسهل تخلىهم عنها.

في الوقت الذي أفكر بيامن وحده،أحس بالحنو والسعادة، وحين أفكر أين ومع من يعيش وكيف كان يتفاخر في بداية صداقتنا بعشرات النساء اللاتي تمر بجسده وجسد أصدقائه، أدرك أن الله بعثني لكي أعاقبهم جميعًا على ما فعلوه في سنوات طيشهم.

تخيلت أن أجعل ثلاثتهم أسرى لدي، أستخدمهم كما يفكر بعض الرجال عن تعدد الزوجات، واحد للسهر، واحد للطبخ والبيت، وآخر للعمل..

ضحكت على هذه الخاطرة بغرور لا بأس به.

لكن يامن ربما أحبه، وربما أفضله على ثلاثتهم..

آه، أشعر بثقل يمضى برأسي كلما بدأ التفكير يأخذ منحنى جديا ، كثير من العلاقات بدأت بالمزاح وسرعان ما تحولت لحقيقة مطلقة، وأحيانًا ورطة كبيرة.

سأظل ممتنة ليامن مساعدته لتجربتي في العمل والاستقلال المادي، سأظل ممتنة لوالدي ولثقته، سأكون شاكرة أمي لو أقلعت عن فكرة الزواج التي صارت تطاردني بها، ونظراتها التي تجترني لشعور منفر، شعور لا نجاة فيه، شعور أن أكره نفسي وكوني خُلقت امرأة برحم وغشاء بكارة..

سأكون ممتنة جدًا لعقلي ولجسدي إذا ما كفا عن التفكير بيامن، يامن الذي صار وجوده في حياتي لا طيش ولا مزحة.

أنا في أمس الحاجة لطريقة أسيطر بها على علاقتي مع أمي، لا أستسيغ سلطتها، وأكره الأمومة بسببها، أنفر من سماع الأغاني التي تغنى للأم، أحاول تجاهلها قدر الإمكان، أظنها تكرهني فعلًا.

لماذا لا توجد لها ذكريات جميلة معي؟

المرة الوحيدة الذي اشتريت لها هدية في الاحتفال السنوي لعيد الأم، لم تبتسم، بل طلبت مني بكل برود وضع الهدية على الطاولة، التفت بعدها للغاز ، حاولت أن تبدو أمامي مشغولة باعداد الطعام، شعرت يومها باحباط شديد، شديد جدًا، أكرهها من كل قلبي..

تحاول أمي هذه الأيام تزكية جارنا الذي أبدت أمه لوالدتي رغبتها بأن تُزوجني إياه، لكن كيف أتزوج؟

الفكرة دخيلة على حياتي، هذا الرجل يريد نكاحي، لا يريد الزواج، أعرف حقيقة الأمر، لقد رأى جسدي في أكثر من مصادفة، يجلس كثيرًا في الشرفة ينتظر اللحظة التي أخرج فيها بلباسي الخفيف، ذلك غذى مخيلته الجنسية، تنامت رغبته للدرجة التي استطاع فيها اقناع والدته بأن تُقدم على هذه خطوة رغم أنه لم ينه دراسته الجامعية حتى الآن، هل يظن أن عمله مع والده في تجارة السيارات كافٍ لأن يبدأ حياته دون حصوله على شهادة جامعية؟

آه تعبت، أظن أني أشوه كل شيء يأتي عن طريق أمي، لا يوجد خطأ في تفكير الرجل بالزواج، أظن أن الأشخاص الذين نحمل اتجاهم حساسية، لا يمكننا أن نرى أي تصرف منهم بحيادية، ولا يمكن أن نقول على أي شيء يفعلوه جميلا، لا يمكن أن نتقبل شيئًا مما يقدمون عليه.

لذلك حين كانت والدته في زيارة لبيتنا، أبلغتها بنفسي وبشكل مهين أني لا يمكنني الزواج من ابنها، وقلت لها بسخرية مدفونة، الأفضل أن يُفكر جديًا بانهاء دراسته والتوقف عن الرسوب المتكرر في الجامعة.

غضبت أمه، لم تنبس بشيء، نظرت صوبي بانكسار وإلى أمي بمقت شديد، ثم سرعان ما أخذت أشياءها وخرجت من البيت.

أما أنا، فصرخت في وجهي أمي، هرولت لغرفتي غاضبة، ضربت باب الغرفة بقوة سقطت جراءها الملابس المعلقة على ظهر الباب، كان من بينها المعطف الذي كُنت أرتديه في الجامعة يوم عانقت يامن، أمسكته ورفعته عن الأرض، كانت رائحة عطر يامن لا تزال عالقة في ثنايا المعطف، عطره منعش، مثير، جذاب وقوي، قبضت على المعطف بشغف، دفنت رأسي فيه واستنشقت عبير يامن وشذى عطره.

أحكمت قفل باب الغرفة،أطفأت النور،وأخذت المعطف معي إلى السرير، تمددت عليه والمعطف في حضني، كنت وقتها أقضي أخر أيام الدورة الشهرية، في هذا التوقيت عادة ما يضربني الشبق، كانت شهوتي يكفيها عود كبريت لتشتعل بقوة عشرة براكين، رائحة يامن كانت النار والهشيم..

همت شفتاي تلوك بعضها، تستذكر بقايا ما علق عليها من شفاه يامن، بدا صخب رائحته يملأ المكان، عطر اللافندر المهيج الذي يمتزج بجسده يحدث تفاعلًا ما، يفتح في خيالي معارك دامية من قبلات وآلام شهية.

تعويذة ما، استحضرت صوت أنفاسه، خوفه وشبقه أتى محملًا بالتهديد والوعيد، كانت أنفاسه هذه المرة مستعدة لاقتحامي دون آسف.

أمسكت معطفه بقسوة، وأخذت أخرمش به جسدي، أمرره على كل الأمكنة، الجنون استحوذني تمامًا، أحدهم يطرق باب الغرفة، أسمعه لكن لا أستطيع غير الصراخ في وجهه بشدة، "بدي نااااام".

تخيلت يامن معي، كان قريبًا أكثر من أي وقت مضى، ماذا أفعل بنفسي؟

لم يعد جسدي جسدا، صار حريقا!

بشيء من غياب العقل، وجدت نفسي أخلع عن نفسي ثيابي قطعة قطعة. هذه المرة الأولى في حياتي التي أجن بخلوتي هكذا.

أصابعي تُلهبني كلما نظرت إليها رأيتها أصابع يامن، مجعدة قليلًا، ينبت منها عشب صغير يزين يديه كما يزين الندى ورق الشجر، يخفق قلبي بسرعة مربكة، آه يا يامن، كل هذا النبض من أجلك.

أهبط بمعطفه إلى صُرتي، أتخيل وجه يامن يقبلني بحنان وانسياب، أتلوى في سريري، نهداي تغلي بين يدي، تفيض من مكان لأخر، أعتصر من جهة، يفر من أخرى..

وطيس الرغبة اعتلى أكثر، أذيت نفسي من عند نهدي، غرست أظافري فيهن وقرصت بخفةٍ النهدات.

ثم بتلقائية بدأت أتحسس بأطراف أصابعي شفتي المنفرجتين ويدي الأخرى تسقط في الهاوية.

انتفض جسدي، أحسست بنثرة واحدة مسحت جسدي من قدمي إلى رأسي، وجع شديد، كتمت صرختي، مضت الثوان محملة بلذة شديدة، بعدها، سقطت منهكة من التعب والأذى، وضعت المعطف على وجهي، وغصت في نوم عميق..

جاءني في الحلم وقال:

نامي إلى جهة اللافندر والنعناع

حيث صدري

واحلمي بالاشتباك

وتأملي أكثر

كيف يصير الكون أجمل

وبداي في يديك..

في الصباح

ستشعرين بالمرارة

وتقولين:

لماذا أنا هنا وأنتِ هناك ..

***

يامن

(لماذا حين تتشابك يداي في يديك يصير فكاكها سهلًا؟

ماذا لو قضينا الليل نحاول حل عقدتها..

أنت تحاولين الفرار من جهة وأنا أزيدها تعقيدًا من جهة أخرى)

استيقظت على رنين الهاتف، كان الوقت متأخرا، المتصل وائل، صوته غريب، يلهث داخل ترداداته، حوله جهير السيارات صاخب، من المؤكد أنه في ورطة.

بصعوبة شديدة فهمت ما يقول، مجموعة من السيارات الفاخرة تطارده هو ومحمود، خلال المكالمة سمعت صوت زجاج يتكسر، يبدو أن أحدهم ضرب بللور السيارة بحديدة من بعيد، استوعبت الجحيم الذي يحيطهم، سألته أين يقود هو ومحمود الآن، أعطاني اسم الشارع، المكان ليس

بعيدا، لكنه شَبه مهجور، حي بالكامل قيد الانشاء، لا يقطنه الكثير من الناس.

أخذت الهاتف للاتصال بأصدقائي، كان هناك رقم دولي حاول الاتصال برقمي أكثر من مرة، لم أهتم، حذفت الرقم واتصلت بزملائنا، تجمعوا للنجدة، أخبرتهم الموضوع بشكل مختلف مثير لحفيظتهم، أعرف أن أكثر ما يستفزهم الإشارة بأن من يطارد أصدقاءنا من أبناء جنسية يبغضونها، لذلك، كل الذين جاؤوا، جاؤوا وكأنهم في مهمة وطنية محملين بالعصى والأسلحة البيضاء، كان معنا سيارتان، الكل يريد الهجوم والتحرك فورًا، لا أحد سأل عن ماهية المشكلة وكيف حصلت ولا أين، فورة الغضب أقصت عقولهم تمامًا.

ركبت في السيارة الأولى وطلبت منهم أن يقودوا خلفنا، اتصلت في هذه الأثناء على وائل، قال أنهما لن يستطيعا الفرار كثيرًا، مطاردوهما يصرون على الاعتداء عليهما، طلبت منه استدراجهم قدر الإمكان لشارع معين، في حي مخارجه محدوده، بعيدًا جدًا عن أعين الشرطة، احتياطاً حتى لا نتورط في مشكلة أكبر.

بالفعل وصلنا للمكان الذي اتفقنا عليه، كان محمود ووائل قد وصلا قبلنا بدقائق، الأمر الذي اضطرهما للنزول من السيارة، من حسن حظهما أننا وصلنا في اللحظة التي نزل فيها مطاردوهما من السيارة، كانت واضحة نيتهم المؤذية، لأن القتل خيار مستبعد بالنسبة لمستوى خيالنا، أظن أنهم كانوا سيكتفون بالتسبب في عاهة مستديمة لأصدقائي، كانوا يحملون عصيان غليظة لا أسلحة، غرضهم الضرب لا القتل.

توقفت سيارتنا وركض الشباب صوبهم، لم أنزل، بقيت أراقب من بعيد، لاحظت رجلا بثوب أبيض لم يترك السيارة، كان يراقبهم ويبتسم.

أحد الرجال تمكن من الوصول لوائل وضربه بشدة على قدميه، بعدها اشتبك أصدقاؤنا معهم، لكنهم لم يكونوا بقوة أولئك الرجال، ظل يقاتلون وأولئك الرجال ينسحبون شيئًا فشيئا برشاقة وكأنهم في نزهة.

لم يصب أي من الرجال بخدش يذكر، لا أدري إذا كان يصح القول أنهم هربوا، كانوا قادرين على إيذاء الجميع أكثر، لكنهم انسحبوا، ربما ظنوا أن هناك المزيد من الشباب قادم على الطريق.

إصابات أصدقائنا كانت طفيفة، إصابة وائل الوحيدة التي استدعت نقله إلى المستشفى، كُسرت قدمه، أسرعت إليه وحملته أنا ومحمود إلى السيارة وتوجهنا للمستشفى، كان الشباب يصرخون أن نذهب بوائل للمستشفى وهم سيتدبرون أمرهم.

ما حدث لم يكن مرعبًا، لم نتعرض اطلاقًا من قبل لاعتداء طوال فترة اقامتنا في هذا البلد، لم يحدث اطلاقًا أن كان لنا أعداء، فجأة وعلى حين غرة يظهر هؤلاء!

بدأت بجرد كل الاحتمالات التي من الممكن أن تقف خلف الأمر، أقارب أحد النساء اللواتي يضاجعهن محمود ويتركهن؟ تجار الحشيش الذي يبتاعه وائل؟ أم أمر آخر يخفيه عني وائل ومحمود؟

***

محمود

بعض المشاكل لا يحلها الحب، بل الكراهية !

كلما حلت بي مصيبة، تذكرت أمي، لا أريد هذا الدور، لماذا تفعل أمي هذا بي، لماذا تحبني أكثر من الطبيعي؟ لماذا تقيدني بهذا الأسر الناعم قاسي التأثير؟

أمي لا أدري ما هو المفروض الآن، أن أشكرك أو ألومك، بفضل خوفك الشديد تعلمت الكذب، صدقيني أنا لم أضطر إلى الكذب إلا عليكِ، ولم أضطر يومًا لاختلاق أشياء زائفة إلا لأفوز بصمتك، أقول لك كذبًا أني بخير كي لا تتألمين لوجعي، على هذا المنوال ولهذا الغرض صرت أكذب، لا أقول لك حقيقة أي شيء حتى لا تقلقي.

أتخيل ردة فعلك لو عرفتِ أني من رواد الملاهي الليلية، أخاف من مجرد التفكير بها، ألا يوجد أحد في هذه الدنيا

يقول لأمي أن خوفها الشديد لا يحميني، بل يعقدني ويشوه حياتي تمامًا..

أرجوك يا أمي، إني أعيش في رعب وقلق حقيقي، في كل يوم أنا مضطر في أي لحظة للكذب، مضطر لأن أجاريكِ في التعامل، أقول لك نعم على كل شيء ولا أفعل إلا ما يحلو لي، إني أحبك، لا تُجبريني على أن أضعك في هذا الإطار السلبي.

حرريني منكِ،من خوفك غير المبرر،لا تعطيني ثقة مؤقتة، أعطيني ثقة حقيقية تعيش معي للأبد.

في المشفى أجلس على طرف السرير، أتجاهل عفريت أمي،الحاضر دومًا في كل مصيبة تحوم حولي، نحاول تخفيف وطأة المصيبة بالاسراف في النكات، يامن يركض مع الممرض، ينهي الأوراق المطلوبة اللازمة قبل مباشرة الدكتور في علاج وائل.

من الصعب جدًا استيعاب فكرة أن العيادات الخارجية في المشافي لا تعالج الحالات الطارئة إلا بعد الدفع واتمام الأوراق المطلوبة، هذا الأمر ممكن أن يتسبب في نتائج كارثية على المصابين، لا أعرف لماذا لا تعاقب وزارة الصحة المستشفيات التي تطبق هذا القانون اللا إنساني، ربما حالة

وائل تحتمل التأخير قليلًا، لكن ماذا عن بقية الحالات التي تكون في حالة أشد خطرا؟

آخيرًا أنهى يامن الإجراءات ودخل وائل لتصوير مكان الإصابة ثم معالجته، بقيت واقفًا مع يامن، تذكرت حماقاته مع سارة التي ستسبب في خسارتي لسماح، لكن الأمر لم يكن مشجعًا لمفاتحته في الموضوع، لكن، رغم المصيبة والتي لا ندرك أبعادها بعد، إلا أن كراهية شديدة اتجاه يامن تجتاحني، تمنيته في غرفة المستشفى بدلًا من وائل.

لم أشعر بكراهيتي ليامن من قبل قدر هذا الوقت، حين يتعلق الأمر بامرأة، بسهولة يخسر الأصدقاء صداقتهم. بقي وائل في المشفى ليلتها وظل يامن معه، أما أنا ذهبت للبيت مع بقية الشباب الذين لحقوا بنا.

جلست في البيت وحدي، وبدأ التفكير يهاجمني بضرواة، فجأة أفكر فيمن له مصلحة بالاعتداء علينا، وفجأة تظهر أمي أمامي، وتارة أفكر في نور وتارة أخرى أفكر بسماح، وأحيانًا تأخذني نزعة الشر للتفكير في ردع يامن وحبيبته سارة.

اتصلت بسماح، الوقت متأخر، لا أظنها نائمة الآن، كانت متصلة منذ نصف ساعة على حسابها على موقع التواصل الاجتماعي، ردت على الهاتف، كان يملأ صوتها البرود واللامبالاة، لم تسعد باتصالي، هذه أول مرة يحدث ذلك، كُنت غاضبا، قلت بسخرية:

- ما بك، يبدو أن علاقتك بسارة جيدة.

ردت بثقة:

- وما مشكلتك؟

لم أعتد سماح هكذا، هذه المرة الأولى الذي أشعر فيها أني فقدت سيطرتي عليها، كأنه تمرد، الأمر أخذني لأن أكلمها بحدة وصلت لدرجة فقداني صوابي، تجاوزت حدودي أكثر من اللازم، في نهاية الحديث قالت:

- خلصت .. ما تتصل مرة ثانية.

أقفلت الخط وأغلقت الهاتف تمامًا

كما يقال دائمًا، "كان عندي عقل وطار"

غضب شديد تملكني، لم أترك لعنة ولا بصقة إلا وأطلقتها في وجه صورتها المصلوبة فوق سريري.

رغبت بشدة في الانتقام الفوري منها، انتصارًا لذكوريتي، لم أجد وسيلة غير هذه.

اتصلت بنور، تحدثت معها برومانسية أشد من التي اعتدت عليها.

آه يا نور، دائمًا ما أمتحن صبرك حين أغضب وحين أرضى وحين تستقر أموري وحين تتوتر أحوالي، حين أموت وجعًا وحين أطير فرحًا، حين أضحك وحين أبكي، حين أنسى وحين أتذكر، حين أصاب بالملل وحين أصاب بالشغف..

كل النتائج يا صديقتي وحبيبتي أولًا:

نجاح باهر..

سألتني:

- هل أصابني مكروه ما؟

أجبتها بالنفي كما يجب، صوتها الضعيف وسخطي من سماح، جعلني أقود المكالمة للحديث معها بجرأة وحميمية آلت لأن أنتشي على تنهيداتها في نهاية المكالمة.

أحسست بنشوتين، نشوة الانتقام من سماح، ونشوة الجسد..

أفضل طريقة للخلاص من امرأة مستفزة، امرأة أخرى تنساها بها..

سارة

في كافتيريا الجامعة جلست أنا وسماح، كان ذلك بعد أيام من معانقتي ليامن خلف حافلة الجامعة، يامن لم يأتِ للجامعة من وقتها، لا أظن أن ما حدث بيننا هو السبب، حتى اللحظة لم يتوقف عن رسائل الهاتف، البارحة تحديدًا بدأت التجاوب معه، سألت بطبيعة الحال لماذا لا يحضر إلى الجامعة،أجابني باختصار أنه مشغول بأشياء أهم وغيّر الموضوع، لم أشأ الإصرار في التعمق بشأنه، ما زال بعيدًا على أن يكون مهمًا بالنسبة لي، المؤسف أن فضولي لم ينضب، لا توجد عندي خيارات كثيرة، طلبت من سماح الاستفسار عن الأمر، شكت من محمود وأخبرتني أنها بصدد الانفصال عنه، لا أعلم اذا كان لي دور كبير في ذلك أم لا.

اضطررت لتجميل صورة محمود أمامها، غرضي من ذلك تحفيزها على الاتصال به وفهم ما يحدث ليامن، بالتأكيد هو على علم بذلك.

رأيت بوضوح في هذا اليوم خبثي، لا مجال للتحايل والالتفاف، بذرة الخبث واضحة في شخصيتي، لا يجب على أحد ملاحظتها غيري، أدركت أن هذا بحد ذاته أيضًا خبث شديد.

نلت ما أريد وتلاعبت في عقل سماح ودورت حالها لجهةٍ تقول ما أريدها أن تقول دون دراية منها أن ذلك مرادي، حفزتها على الاتصال به وأنا معها وشجعتها على ذلك حين سألتني إذا كانت فكرة جيدة التسامح معه الآن أو الصبر ليومين أو ثلاثة.

همست لنفسي سرًا:

ستقتلني هذه الغبية، يومان كفيلان بأن يشق الفضول قلبي لنصفين.

اتصلت سماح،صوت هاتفها مرتفع جدًا، أستطيع سماع صوت محمود بوضوح، نفسه منكسرة، أشار لسيرتي بالحديث مع سماح، لم يذكرني بالخير، لا يهم، ارتبكت سماح حين شتمني وأنا أمامها، أنا بدوري غضبت، لم أغادر، بقيت على مضض، انتقل من الذم في اسمي إلى

الحديث عن الأسباب التي دعته للصراخ في وجه سماح، ذكر تفاصيل الحادثة التي تعرض لها هو و وائل، ذكر يامن بلفظ خارج وقال أنه ظل في المشفى مع وائل.

أنهت سماح المكالمة وانهالت بالاعتذار والتبرير، ما قاله محمود لا يعنيني كثيرا، كراهيته أو محبته وجودها أو عدمها أمر لا يهمني، بكل الأحوال استثمرت ما قاله لأكسب ولاء سماح لصفي أكثر، حتى أنني عرضت عليها مساعدتي في المتجر رغم ثرائها..

بيني وبين نفسي يقين أنّ محمود مجرد فقاعة، سيهزم أمامي بسهولة، الصورة التي يتخيلها عني غير حقيقية، أحيانًا يعيش المرء في قالب مختلف تمامًا عما يتصوره العالم، هذا لأن الناس تأخذ فكرة عن الأشياء بالشكل وبالافتراضات المرتكزة على تجارب شخصية سابقة.

فرحة سماح بمصالحة محمود كانت كبيرة، خرت من عينها دمع بارد، شعرت بالشفقة لخضوعها له، فكرت بموقفها وتفهمته، محمود الوحيد الذي لمس جسدها وربط نحرها بالخوف يوم استسلمت له وفض بكارتها..

***

يامن

الوعي أهم من الحب، طالما هناك وعي، لن تنتهي الأشياء التي تأتي بعده تباعًا..

تزروني الفراشات، بات وجودهن ضروريا، أتذكر سارة على الفور، أو هي من أرسلتهن على سبيل التنبيه حتى لا أنساها، هناك علاقة بينها وما بين الفراشات، يوم غنت في باحة الجامعة، حطت فراشة على كتفي وطارت على كتفها، التفاصيل الصغيرة هذه، تقتلني، تعلقني بها أكثر، أترجمها حسن نية القدر.

في هذه البلاد، النساء لهن ضحكة لطيفة خفيفة، وبسمة ناعمة رقيقة، على عكس النساء في بلادي، يعتبرن عبس الوجه شيئا من الوجاهة والثقل، ما بالي وقعت في

حبال امرأة تحمل معها أجمل صفة من كل معيار للجمال، أجمل درجة في السمرة، أجمل صوت، أجمل ضحكة، أجمل نظرة، أجمل روح، أجمل خفة، أجمل قسوة، أجمل جنون على الاطلاق..

بين معايير جمالها أشعر أني غريق، تلاطمني أمواج الحُسن، تضربني موجة، وما أن أستعيد أنفاسي، حتى تفاجئني موجة أخرى، آه لو تُحبني سارة حدثت نفسي، أي مكافآة من الله هذه، أنّ تحبني سارة، ما أقصى هذا التمنى..

منذ فترة وأنا أحاول تقليم علاقاتي مع النساء، أريد تهذيبا بحياتي لأليق بامرأة ذكية مثل سارة، امرأة تساوي ألف شيطان وملاك، لا أخفي شيئًا عن هذه المرأة، أحدثها بلا قيود، رغم بيئتها المنغلقة إلا أنها منفتحة جدًا، تنصت لحديثي، تتفهمني وتناقشني، تجعلني أغرم بها أكثر، هي الوحيدة التي بُحت لها بخاطري اتجاه محمود ووائل.

في داخلي أحس أني أقل من أن أكون لسارة، أشعر أنها تستحق رجلًا أفضل مني، رجلًا أكثر وجاهة ونباهة ووسامة، أشعر أني صغير أمام شخصيتها، كنت أرطب قلبي بهذه الكلمات حتى إن خسرتها لا أحس بدهشةٍ ولا بمفاجأة.

كلما مرت فراشة أمامي سارعت بالكتابة لها، شيئًا مما يفيض به قلبي، كل يوم يمر أمامي، أتورط في حبها، أدركت فعليًا أنا كل ما سبق ظهور سارة في حياتي شيء، وما سيأتِ شيء آخر، مغاير تمامًا، أشد تأثيرًا وأكثر عمقا.

" بدلت جلدي

تعالي..

لم أعد عصبيًا، لم أعد منفصم الشخصية، صرت سهلًا مثل إعراب الجملة الاسمية.لم أعد أنسى المسؤولية، صباح الخير وقُبلة، تصبحين على خير وحضني.

صرت صادقًا دومًا أقول الحقيقة، لا أنكث عهدي، ولا أؤجل وعدي، ولا أبيع القضية.

بدلت جلدي، تعالي ..

خذي الأسماء كلها، والقرارات كلها، خذي الحدائق والصباح، خذي المدن والموسيقي، خدي النسيم، خذي الندى، خذي قلبي ضحية، لن أبكيكِ ولن أكرهك كذبًا، ولن أرى في عينيكِ ضعفًا ولا كسرةً ولا بحرًا تضيع فيه الحيرة والعقد العصية..

خذيني كما يُؤخذ طفلٌ حديث الولادة.

اغضبي سأقول عفوك، اضحكي سأقول ما أجملك، اصرخي سأقول عاش جنونك، إمرضي سأمكث قربك، لكن تعالي..

بدلت جلدي وحفظت تاريخ ميلادك!"..

أفكر، بها، بها وحسب، وكما يقول المثل الشعبي:

"ابن الحلال عند ذكره يبيان"

وصلت رسالة منها وأنا في المشفى تقول فيها:

" سلامتك، كيفك وكيف صار وائل؟"

من أين عرفت ما حدث؟ لا يمكن أن يكون من غير سماح، محمود من أخبرهما،لكن لا يهم،شعرت أن اهتمامها بأخباري شيء كبير، فوزي الأول في سباق علاقتنا.

أفهمتها أن الأمور على ما يرام، سيخرج وائل من المشفى الليلة، قدمنا شكوى لمركز الشرطة وانتهى الشوط الأول من المسألة، لا نعرف من خلف الاعتداء.

في نهاية الحديث حاولت الإفصاح عن شوقي الشديد لها، أخبرتها أني سأكون في الجامعة غدًا، وأنّي سأحضر مبكرًا جدًا لأحظى بفرصة للحديث معها قبل بدء المحاضرات.

خرجت في الصباح مبكرًا جدًا، أظنني أول طالب دخل الجامعة، اضطررت لرشوة حارس بوابة الجامعة، في أعلى الممرات داخل الكلية، الممر الذي سقفه الهواء، نادرًا ما يجلس أحد هناك، من خلال أبواب الممر الزجاجية في أوله وفي أخره، يمكنني رؤية أي شخص قادم باتجاهي، لكن من الناحية الأخرى لا يمكنه أن يلحظ وجودي، ذلك يعني الكثير، خصوصية كبيرة في مكان عام.

(الحقيقة أن قبلة من شفتيك

تكفيني لأولد من بطن أمي مرةً أخرى

لا خطايا، لا ذنوب، لا تعب)

***

وائل

كسر بسيط في قدمي، مسألة وقت وسينجلي الوجع وتختفي آثاره، مكثت في الفراش فترة قصيرة، يامن كان يساعدني بكل ما أحتاج، كان خدوما جدًا، في المواقف الصعبة تظهر معادن الناس.

لم نعرف أي معلومة عن المعتدين، الشرطة اكتفت بأخذ الأقوال ولم يراجعنا أحد بهذا الأمر، ربما لأني لم أبلغ السفارة بما حدث.

سنوات عمري المنصرمة، غير مأسوف عليها، مدججة كانت بالخراب والتناقض، لم ألمس فيها الأمل، لا في غياب الوعي ولا في حضوره،حتى مستقبلي، يحمل مفاجأة سوداوية مجلجلة، أخرها كسر في قدمي دون معرفة بماهية المعتدي.

أهرب من أصدقاء لا يراهم أحد غيري، لأصدقاء يعترف بوجودهم الجميع،أرى في عيونهم سخرية من ضياعي وحزني، وأوهامي، اعتدت الحزن، أحس به جزءًا مني، أتحسس جسدي إذا كنت سعيدًا لأكثر من يومين، أشعر أن القدر أخطأني.

حين يفيض التعب من عينيك، لا شيء يغدو مهمًا، كل الأمور سيان تحققت أم لم تتحقق، هوان يصطفيني، لا مناص من اسراف العمر على غرار المال، لا العمر يعنيني ولا المال من عرق جبيني.

أكابر على نفسي، لمكابرة مجهدة جدًا، ترهق القلب والعقل معًا، المكابرة هي الذهاب طوعًا لمنصة الاعدام..

البؤس هو أن يغدو الوحيد الذي تتمنى استكمال حياتك معه مستحيلا، لماذا يرفض الجميع وجود ياسمين في حياتي؟ أمي، أبي، أهلي، أختي، كلهم يظنون أني مجنون، لا أحد يعترف بيقيني..

هربت منهم للدراسة في الخارج على الرغم من أن المستوى التعليمي في بلادي أرقى، أكثر من ثمان سنوات وأنا أحاول التحلحل من الجامعة، أشعر أني سأموت وأنا ما زلت في كلية الطب، فشل يلاحق فشلا. ثمان سنوات استغرقت

حتى أصل للسنة الجامعية الثالثة، مما يعني أني أحتاج لأكثر من عشرة أعوام اخرى لأتخرج!

تفتت مني الأمل، موعود أنا مع جحافل المأساة، نصيبي في النكسات يوزع على أمة،الموت يدور حولي ولا يصيبني، لا أعرف لماذا يتركني؟

ألست مثل باقي العباد، ألا يحق لي الموت ما دام لا يحق لي العيش؟أم أن يدي فارغتان من الاثنين، معلقٌ بين أمرين أنا، والاثنان يلفظانني..

عند نقطة محددة، يقف قلبك في مواجهتك، ومن شدة غضبه يصرخ في وجهك:

- لا تستهلكني أكثر، لم يعد لدي أكثر..

بعد هذه الحادثة أشعر بامتنان شديد ليامن، على عكس محمود الذي كنت أرى في عينيه ثقلًا، على الرغم من جلوسه جانبي في السيارة وقت الحادثة، على أي حال لم يزعجنى الأمر كثيرًا، حاولت إيجاد مبرر سهل لتفسير انسحابه، أقنعت نفسي أنه يريد تجنب يامن، تعاملت مع الأمر وأقنعت نفسي به، أكثر ما يؤسفنا بالأصدقاء المنتهية صلاحيتهم، العشم ..

في الظروف السيئة،كل ما أذكره،الأصدقاء الذين اختفوا في الوقت الذي كان وجودهم ضروريا جدًا..

أثناء وجود يامن معي معظم الوقت، فاتحني بالحديث عن هوسه بزميلته سارة، كان يصفها بكل ما لذ وطاب من الكلام، كان سعيدًا جدًا وهو يتحدث عنها، أحيانًا يغمض عينه ويعانق نفسه، يظل مبتسمًا وهو يصف جمالها بتفاصيله،حتى خبثها يصفه بجمالية محببة،جمالية الأطفال والبراءة.

يذكرني ببؤسي الذي يؤهلني بجدارة لدخول مصحات الأمراض النفسية، أشفق على نفسي أحيانًا، نفسي تعرف الخطأ من الصواب، مع ذلك تظل ملتصقة بالخطأ بشكل غير مفهوم، حب أعمى للضياع.

يُحدثني يامن عن تصرفات سارة، أتخيلها مباشرة على ياسمين، بكيدها وجنونها وحركاتها غير المتوقعة، أظن سارة لديها فرصة أكبر لتكون أقسى من ياسمين، عقلها اللعوب يبدو أنه بدأ العمل مبكرًا.

لأكثر من أسبوعين وأنا أسمع أحاديث جذابة بشكلٍ مربك، أسطوري نوعًا ما، يامن لديه القدرة على خلط المكر والرقة في تعبيراته، يجعلك ترى القباحة بطريقة خلابة و وسيمة.

أظنني أنا ويامن نتشابه في مواصفات المرأة التي نحب، على عكس محمود، يعشق المرأة الخاضعة، الراضخة تمامًا لمشاعرها أمامه، الحاوية التي تتحمل الألم والأذى بصدرٍ رحب، المرأة التي تستقيظ عند منتصف الليل لتعد له الطعام وتدلل أقدامه بالملح والماء الدافيء، أنا لا ألومه، تربينا جميعًا على أن خضوع المرأة لرجلها ليس بضعف، وما أكثر المغالطات التربوية الملتصقة بأفكارنا.

الخضوع دائمًا ما يعبر عن الحب، كلنا خاضعون، طائعونَ مسبحون بحمد الله، لكن هذا الخضوع لا يجب أن يخرج عن دائرة الله وعبده، لكن أن يكون بين عبد وآخر، أمر منفر، على النساء جميعًا ألا ترفع الرجال لهذه المرتبة المقدسة، محمود ليس مقدسا..

أتفهم غضبه المكبوت اتجاه يامن وسماح وسارة، سماح من خلال علاقتها مع سارة،صارت شخصيتها أقوى، استطاعت سارة تمكينها وتحريرها من عبودية الحب، ربما هذا جيد من جهة، لكنه نار حامية من جهة أخرى، ستكون عدوانية محمود اتجاهها قاسية إذا ما صارت هذه الصورة واضحة ومباشرة.

صديقي محمود ذو شخصية جذابة برغم من كونه حقيرا، لا أفهم كيف يمتلك الحقراء كل تلك الجاذبية، وكيف يغدو الطيبون منفرين جدًا..

أنا أعيش بالرمادي بشكل مستميت، حتى في علاقتي مع زملائي، قد يكون محببًا للبعض هذا الدور المشابه للمصلح الاجتماعي، لكنه مرهق ومؤذي نفسيًا، خصوصًا لشخص مثلي، يخجل رفض طلب لأحد ويخجل من الافصاح عن نفوره.

اتصلت والدتي بعد مرور أكثر من أسبوعين على الحادث، كانت غاضبة جدًا، لا أعرف كيف تسرب الخبر إليهم، أخبرتني أنها ووالدي حجزا تذاكر الطيران وخلال أسبوع سيكونان عندي، أبي تصرف في أمر شقة جديدة له ولوالدتي، أبي يشهد الجميع بقسوته، أنا صرت فوق العشرين وما زلت أرتعش أمامه، رجلٌ من النوع الصارم جدًا، لا يسأل رأي أحد بشيء طوال حياته، يعتمد في أسلوبه على ترتيب كل ما يجب، ثم اخبار الجميع وعليهم التنفيذ.

سمعت صوته من بعيد وأمي تحدثني على الهاتف، سألها مع من تتكلم، أجابت بأنه أنا، طلب منها أن تخبرني أن أجهز أغراضي لكي أنتقل إلى الشقة الجديدة التي يبدو أنه لم يستأجرها، بل اشتراها، ويجب في كل الأحوال الانتقال إليها وترك أصدقائي، من المعروف عني أني لا يمكنني العيش وحيدًا، أن أكون وحيدًا أواجه تخيلاتي وهواجسي، هو بمثابة موت بطيء أذهب إليه بارادتي..

عندي رهاب من البقاء وحيدًا، أخاف العيش بلا صحبة، يجف حلقي من القلق، وأشعر بأني وحيد في هباء الدنيا، كأني أعيش بمنفى عن هذا الكوكب، يتملكني خوف شديد، لو حدقت في مكان لدقائق، أتخيل كائنا متوحشا مقرفا بصدد الهجوم على جسدي وتمزيقه، أو دوائر تتداخل في بعضها مع أشكال هندسية تنبثق من زوايا الجدران، أخاف من النوافذ، ودخول ياسمين فجأة منها، أخاف من أصوات الريح، من الظلمة، لا يمكنني إيقاف فيضان المشاعر السلبية، أخاف جدًا وعمري لا يسمح بأن أتفوه لأحد بهذا الخوف، أخشى أن يفضح ذلك جبني السري.

في أحد المرات، تحديدًا بعد يومين من مكالمة والدتي، لم أخبر أحدا عن احتمالية مغادرتي الشقة بعد، فقد كان عقلي رافضًا الفكرة تمامًا، كنت على سرير أدلك قدمي،

صوت يامن يتسربل من بعيد، أحاول تجاهل الانصات إليه، أرفض فكرة التجسس على مكالمات أحد، لكن هذه المرة لم أقاوم، كان يتحدث مع سارة، أذهلتني نبرته في الحديث معها، متحمسًا جدًا وكأن طفلًا يسكنه، صوته بدأ يقترب من غرفتي، الهاتف ما زال بيده ونشوة الفرح غطت على شخصيته الثقيلة نوعًا ما، فتح باب الغرفة وكان لا يزال يتحدث مع سارة، فاجأني بتصرفه، أعطاني الهاتف وقال:

"سارة بدها تطمن عليك.."

كان ممتنًا حديثي معها، أحسست برغبته في جعلي جزءً من قصته، رحبت بذلك وأطلت في الحديث معها وتشاركنا ثلاثتنا المزاج.

مرة تلو الأخرى حتى صرنا أصدقاء، عند هذة النقطة بدأ يامن بالتراجع، يحاول بطريقة أو بأخرى ابعادي عن حياته وحياتها، يامن قلق، يرى الناس بعين طبعه، يخاف حدوث شيء بيني وبين سارة رغم أن هذا بعيد جدًا، وإن على سبيل الخيال حصل، بامكانه ردعي بسهولة. لكن ما يقلقه عجزه عن منع سارة عن أي شيء، ذلك أن كل اللقاءات التي تواجدت فيها معه ومعها، كان بمبادرة منها وليس منه.

محمود

على شرفتي أجلس، يحاصرني البرد من كل جهة، قهوتي ذخيرتي والأمل، كلما اشتدت ضربات البرد أسعفني عبق الهيل. وحدها صورتك تُسعفني كلما ضاقت بي السبل. نور.. أمام الشرفة شجرٌ مصبوغٌ بكحل الليل، لا ألوان فيه، وحدها ابتسامتك التي تُسعف مخيلتي لتعيد للطبيعة مجدها.

بقعٌ صفراء معلقة على أعمدة الضوء في هذه الجدارية السوداء ما يمنحني الأمل، نأخذ الأمل من فكرةٍ عابرةٍ. جسدي يأكل الشغف والتعب، يتغذى في المساء على مسك الصداقة، ويرتوي من ذكرى شفتيكِ يا مليكة الصباح.

ما زلت أتلذذ بعذابات انتظارك، أجند الصبار في جسدي، و تغزوني الحشائش حتى تغطيني، وأقول للأوجاع:

- هل من مزيد؟

قدرة المغتربين على تحمل ويلات الحب أشد من قدرتهم على هضم الحرب، ابتلاع الصخر أسهل من الشوك، لماذا لا نستسيغ الحلول المنطقية؟

أقول لنفسي، أحب ثلاث نساء، نور.. سماح.. والتي لم أحسم أمري معها، واحدة أعرفها واثنتان يكسوهما ضباب الغيب. في الفترة الأخيرة تعلقت بالأخرى أكثر من قلادة في صدرِ امرأة في طور العشرين.

أحب الغموض، أحب الكتابة الملغومة، أحب مفرداتي السهلة، أحب كل ما يجعل حبيبتي تعاندني بالغياب، لولا غيابها لما عرفت الكثير عن الحنين، هذا ما أجده في نور..

أحب النسيان، وأعشق نفسي حين تنسى ما كتبت، النسيان محفزٌ مثابرٌ للتجديد والإبداع، لكنه لا يصيب النساء في ذاكرتنا، النساء مثل القهوة، على سوادها ومرارتها، تحتل أرض القلب كل يوم بلا رأفة، هذه سماح التي يعالج النسيان عند كل صباح خلاقاتنا.

الآن:

صعد الصباح إلى العرش، استوى قلبي..

صباح الخير وبعد..

أكره تطور العلاقة بين يامن ووائل، أشعر أني أخذت من يامن دوره، أو أن سارة أزاحت طباعه السيئة عنه وألصقتها بي، أنا لم أعرف مشاعر كراهية كهذه، لا أعرف كيف وصلت لهذا الحد.

سماح تترك كل يوم في داخلي ثغرة، لكن قلبي لا يحتمل خسارتها، نور تبتعد شيئًا فشيئا، اعتدت غياب نور لفترات، في النهاية هي امرأة متزوجة، قد لا تسمح الظروف كثيرًا بأن نكون معًا.

أرهف السمع لما تبكيه نور من مشاكل كلما تتاح لها فرصة للحديث، صوتها الأجش يعذبني، أنا جزء غامض من عذابها، أحاول تخفيف عذاب ضميري بالانصات بقداسة لعذاباتها من زوجها من جهة، ومن جهة أخرى تحجر عقول عائلتها، عائلتها ثرية جدًا وزوجها أيضًا، تعدد الزواج أمر طبيعي جدًا، لكن حالة العبودية والخضوع الذي تعيشه النساء في أعراف عائلتهم مخيف جدًا، يصل الحال لأن يقف أخ الفتاة مع الزوج ضدها حتى ولو كان الخطأ من ناحية الزوج!

أقول لنور كلما حنى قلبها للهاوية:

اضحكي بأعلى صوتك، لا يوجد في الحياة نبعٌ يكف عن العطاء، لا تصدقي من قال أن الحزن أنيق، والحزن على النساء أجمل..

أنا هنا..

من سيربت على كتفك بينما تدفنين رأسك في غور الوسائد؟ من سيعاونك على الوقوف ويأخذك بعيدًا عن جدار البؤس؟ من سيحك ظهرك ليلًا ما دامت يداك لا تصل لأغصانك الرقيقة، من سيركض نحوك خوفًا من المروحة وأنتِ تخرجين من الحمام مبتلة؟ من ستمص يداه من جسدك التعب، ويعرف ما تحتاجين إذ ما تمنعت، ويشتري لك أحلى الثياب ...

من غيري يدرك أن الحب مرضٌ ويمضِي مع ذلك إلى تلك الآفة؟

كان يسعدها ويعذبها هذا الكلام لا هي تقوى على رفضه ولا قادرة على استيعابه وإدراك استحالته. أعجب بنفسي وأنا أصيغ لها أجمل الكلمات وأطبطب على آلامها..

على أي حال أنا لن أُصلح المجتمع، يكفي الانصات لأولئك المعذبين، هم ليسوا بحاجة لغير أن يسمع نحيبهم أحد دون أن يتفوه بكلمة، أضعف الايمان مسح دموعهم لا أكثر.

لم أنم مع نور منذ فترة طويلة، راودتني شكوك ما لذلك، في المرات الأخيرة التي تحدثنا فيها على الهاتف كانت تؤكد على سؤالها عن حالي وعن ما إذا واجهتني مشاكل من نوع مختلف، أجيب كالعادة كل شيء على ما يرام.

من الأشياء التي تؤلمني بشدة في علاقتي مع نور، ما يحدث بعد معاشرتي لها، يفترسها ندم لا دين له، تتساقط من عينيها دموع ساخنة حقًا، تخرج منها تنهيدات حسية تخترق قلبي مباشرة، تربكني ولا أفهم ماذا أفعل، أكره رؤية الدموع على النساء، ربما تسببت للكثير من النساء بالدموع وأحيانًا أتلذذ حين أعرف أنّ امرأة بكت من أجلي. لكن أن أرى وأحس الدموع مباشرة أمامي، تأثير مغاير تمامًا.

يا الله، كيف أواجه نفسي، أشعر بغيظ شديد، أريد قتل كل من سارة ويامن معًا، وأعاقب سماح على غرورها وأتركها بعد أن أتملك قلبها حتى تعود ذليلة..

صرت أضرب نفسي على كل فكرة غبية تراودني، ماذا فعلت سارة وسماح بي.

يبدو أن يامن يسير بخطى ثابتة نحو الفوز بقلب سارة، يقضي أوقاتا طويلة بالحديث عنها أو معها، تخلص من كل علاقاته الماضية تمامًا، لم تعد تزور شقتنا أي امرأة تقريبًا منذ فترة طويلة، يبدو أن التورط في الحب يساعد على نظافة الحياة وترتيبها حتى لو كان ثمنه غيظا وقهرا.

روادني فضول كبير لرؤية هذه السارة التي تُغير الناس ولا يغيرها أحد، في احدى الصدف عرفت أنها تجلس مع سماح في باحة الجامعة وحدهما، ذهبت على الفور بالبطاقة الجامعية لصديق كان يجلس معي على المقهى يدرس في نفس جامعتهما، كان يشقني الشغف، أخذت في طريقي هدية لسماح، عقلي المغفل أقنعني أني إذا أهديت حبيبتي شيئًا أمام صديقتها، ستغار منها صديقتها، ربما ينطلي ذلك على بعض النساء، لكن على فتاة تعبث بهذا الخبث مثل سارة لا أظن.

وصلت، جثوت على قدمي، وحنيت رأسي حاملًا بيدي الهدية، كنت أقف بجانب سماح، لم تنتبه لوجودي، كانت منهمكة بالحديث مع سارة، حدقت بي سارة مستغربة من

وقاحتي، كيف لرجل الوقوف بهذة الجرأة عند بنات لا يعرفهن، لم تكن تعرفني، لكني أظن بأن التحديق المتبادل لثوان كفيل لأن أعذر يامن بلاهته الأخيرة، النساء مثل هذا النوع، إما أن تقتلك أو تقودك لمستشفى المجانين، لا تفهم جمالهن لأنه لا يتعلق بالشكل وحسب بل بالروح وقدرتها الجيدة على فهم عقلية الرجل، مثل هذه النساء تحس ذلك فيهن من نظرة!

لوهلة كدت أنسى أني أحمل هدية لسماح، شرودي في قسمات سارة ضيع عقلي لثوان، انتبهت سماح لنظرات سارة الاستفهامية لي، استدارت نحوي وضحكت، أهديتها الهدية وقلت لها آسف على كل تجاوز بدر مني، المهم أنكِ عنيدة لدرجة أنّ الأشياء تتأقلم معكِ لا العكس، ولدرجة تُصبح فيها نظراتك قبلة على الشفتين ..

كنت أعني سارة بآخر ما نطقت، نظرت سماح بدورها لسارة التي ابتسمت ابتسامة خفيفة، ترجمها عقلي ابتسامة خبيثة، ضحكت سماح وأقبلت على معانقتي في باحة الجامعة، كان شيئًا جميلًا، وكان عناقًا شهيًا أُعاد لي حبيبتي الضائعة.

استأذنت سارة وتركتنا، أخذت معها انتباهي كله، لولا لطف القدر معي، لأفسدت ما أصلحته للتو مع سماح.

سارة

لماذا أقضي كل هذا الوقت في الشك والظن، سألت نفسي بوضوح، هل تُحبين يامن أم أن الأمر لا يتعدى التسلية أو التجربة الحذرة؟ لماذا أطيل الحديث سرًا مع صديقه وائل؟

لا أعرف، ولا نفسي لديها أي فكرة عن الجواب الشافي..

(كل عام وأنا زرقاء..

لا أشبه الماء في شيءٍ ومع ذلك أدعي أني زرقاء، وأدعي زورًا أني من فصيلة السماء، يوم حظي لم يأتِ بعد ولن يأت أغلب الظن. كل عام وأنا زرقاء، وهنا ثوب المشكلة، أدعي أني زرقاء وكل ما حولي بالجمر متلون، الفرص مؤسفة، السعادة قريبة بعيدة، والحياة محض تمضية وقت بعيدًا عن الادمان.

كل عام وهم يقتلون آخر الحسنات في قلبي، كل عام وأنا لا أشتكي همي لأحد، كل عام وأنا لا أشبه نفسي في كل موقف وحالة..

ألهث وقدماي تتعثر في خضم القدر، أسرج حصاني وأنطلق مؤمنة بأنّ هناك شيئاً ينتظرني، مصدقة كل أفاعي الأمل. شيئًا فشيئا يتساقط جسدي ببطءِ الصدى حين يقتل الحديد، كل عام وأنا زرقاء وملوحة الميت تغطى شغفي واهتماماتي التي تهم الناس ولا تهمني..

كل عام والريح على الطرقات السريعة تمشط شعري، كل عام والقمر يذكرني أن لا وقت للحب ولا للأحبة، كل عام وكل ذلك يقتلني رويدًا رويدًا.. كل عام وأنا أدعي أني زرقاء..)

عادت أمي تفكر بتزويجي من الرجل الواقف على البلكونة، الرجل الذي لا أراه إلا مرغمةً، والذي لم أره في حياتي يرتدي شيئًا غير الفانيلة البيضاء، ظنًا منه أن هذا يثيرني أو ربما سيبدو أمامي بها أجمل، لو تأخذ النساء الرجال على أشكالهم كما يفعل معظم الرجال، لتكدس الرجال على المقاهي والطرقات..

مضى على زيارة والدته الأخيرة أسبوع ونيف، خلال هذه الفترة أمي استطاعت بالالحاح الشديد كسب والدي لصفها، والدي صدمني جدًا بموقفه، لم أتوقعه أبدًا.

أمي زادت قوتها وحدة حديثها معي، أنا ضعفت كثيرًا، أظن أن قوة أي امرأة في الكون تتناسب طرديًا مع قوة علاقتها بوالدها، وصل الجدال بيننا لطرق مسدودة، انكسرت شوكتي وانقلبت الموازين تمامًا في البيت، صرت أرجو أمي أن تكف عن الكلام بنفسٍ منكسرة، منذ سنوات طويلة لم يحدث أن كلمتها بهذا الضعف، كنت لها الند بالند، كما لو كانت ضرتي في البيت، لكن الآن الوضع اختلف، حتى مع والدي، أرجأت ذلك لتغير تصرفاتي الاستقلالية الجديدة، يبدو أن والدي شعر بأني أحاول الانسلاخ عن مفهوم العائلة وولاة الأمر.

لقد نجحت في حياتي، وأوفيت ديون تربيتي لأهلي، أبي بسببي الآن أصبح صاحب متجر بدلًا من عامل أجير، ظروف عائلتي قفزت من الفقر للطبقة المتوسطة وكل يوم تتحسن حالتنا المادية أكثر، أحصل على أعلى الدرجات بين زملائي في الجامعة، لم يتبق أمامي سوى سنة ونصف وأعمل في الجامعة معيدة إلى جانب عملي الخاص واستكمال الدراسات العليا، أنا على يقين أنّي أستطيع التوفيق بينهما

والنجاح،أرفض التواضع في العمل. أقدس العمل عن الحب، إن الراحة الحقيقية هي أن تنام من التعب لا من حدة التفكير.

العواطف الحقيقية في العمل تنبض من العقل لا من القلب، وهذا أجمل ما ستشعر به، التجارب الحياتية ينبثق معظمها من رحم العمل لا من جلوسك وحيدًا معرضًا نفسك لأن تنهشك الذكريات والأوهام.

من الصعب احترام عاشقٍ عاطل عن العمل، هداياه من عرق والده أو أمه، لا أدري كيف تثق النساء بهؤلاء الكسالى...، أو ربما أفهم، الكسالى يجذبون الكسالى أمثالهم..

ومن المهم جدًا أن تخطط للمستقبل، لا أن تعمل في مكان تظل عمرك كله قابعا فيه، تواضع في البداية حتى تثبت نفسك لكن إياك البقاء متواضعًا إلى الأبد، العواطف لا مكان لها في العمل، كن محوريًا جدًا، ذا نفسية عظيمة، الكل يثق بك ويعتمد عليك، تدلل واطلب المستحيل..

من السذاجة أن تطلب المستحيل من البداية وأنت للأخرين لا شيء، الأمر سيكون مهينًا لك ومضحكًا لغيرك ..

أشعر الآن أني ذات مكانة تؤهلني للانفصال عن عائلتي، لآخذ قراراتي بنفسي مهما كانت آثارها الجانبية، لكن لا

جدوى من هذه الأحلام الوردية، لا القانون ولا التقاليد المجتمعية تسمح بالتفكير هكذا، أظن التفكير بهذه المسائل بصوت مرتفع بحد ذاته مشكلة قد تجعل من المرأة ضحية للاستهداف من ألسنة النساء ورغبات الذكور وشهوات الرجال المطالبين بحقوق المرأة!.

وصلت لمرحلة جعلت الرجال في حياتي مجرد كماليات لا أكثر ولا أقل، المرأة الحقيقية هي التي لا تحتاج الرجل في حياتها، مجرد كماليات..

أبي كان أقل تطرفًا في موضوع الزواج معي، لا يهم أن أتزوج صاحب الفانيلة الداخلية، ما يعنيه أنّ أفكر بالزواج جديًا قبل أن يفوتني قطار الزواج، فسرت ذلك لنفسي بخوفه من خروجي من دائرة سيطرته، ربما كان محقًا، كنت كلما حققت نجاحا في أمر ما، أعطي لنفسي حرية أكبر وفي بعض الحالات تتعارض حريتي مع ما يرغب أبي.

أما دوافع أمي كثيرة، مجملها مستفزة، أمي واحدة من ثلاث أشخاص يستطيعون استفزازي، لم تحبني هذه المرأة أبدًا، أنا على يقين بأنها تكرهني لتعلق والدي بي، غيرتها غريبة، لا أفهم كيف تغار أم من ابنتها!

مع ذلك كله، أظن أنّي أشبه أمي أكثر من أبي، وأكره نفسي حين ينبهني أحد أو أحس أني أتصرف بطريقة تشبهها.

دائمًا أحس بداخلي سارة ضعيفة الشخصية، الطابع الخارجي لشخصيتي هُجومي يحارب من الداخل والخارج، يحاول قتل سارة الضعيفة وتمكين سارة القوية التي تغيرت لأنها أرادت التغير وبحثت عنه، ليس لأحد فضل بذلك.

أنا وأمي بالضبط مثل المغناطيس، متشابهان متنافران، هذه المرأة التي تسمى عنوة أمي كانت تتفنن في احباطي في الوقت الذي يدعمني أبي، حين أرتدي شيئًا جميلًا لا تبوح بكلمة حسنة، تذهب تلمحياتها إلى أشياء خارجة، كثيرًا ما كانت تصدني حين أرتدي ملابس ضيقة، تقول لفظًا خارجًا بما معناه أني أشتهي الرجال.

أستشيط غضبًا من ردها فأستفز غيرتها وأقول أشياء تترنح ما بين الجد والمزاح، سأظل أجمل منك، أنت تغارين مني..

لكن تعليقاتها في الفترة الأخيرة تجاوزت المعقول، التغير الكبير في طريقة لبسي ساعدها على ذلك، منذ تحسن وضعي المادي ودخولي الجامعة وأنا أتعمد ابراز ما كانت تنتقدني به أمي وأنا طفلة ولم أفهمه، صرت تحديدًا كلما

وقفت أمام المرآة تذكرت تعليقا من تعليقات أمي التي لا أنساها عن شيء ما في جسمي وأجعله يبدو أمام الناظرين بأجمل مظهر.

كنت مندهشة من تذكري لكل الجمل الخارجة التي تقولها أمي بغياب أبي منذ طفولتي، ومستغربة جدًا من جلوسنا معًا دائمًا أمام المرآة، نتبرج سويًا ونتبادل ملابسنا، كانت هذه بمثابة أوقات الهدنة، لكن لا تفسير واضحا لها عندي.

هذه الفترة انتبهت أمي لمساحة الوقت الذي أقضيه أتحدث على الهاتف، قارنتها بالوضع الطبيعي، الوضع الذي يسبق حادثة الحديث عن الزواج، كان ذلك مثار شكوكها، لأنه للمصادفة تقاطع مع تطور علاقتي مع يامن، شرار ظنونها صار يتطاير من عينيها، كانت تراقبني، لكن لم أعرها أي اهتمام، لا أدري لماذا تحديدًا، لكن ربما لأن علاقتي مع يامن في بدايتها، أقصد بداية تعاملي معها بجدية جعلني أغفل التعامل معها بخصوصية وسرية.

أريد أن أكون ابنة التجارب، وليس ابنتهم، أختار مصيري بنفسي، أريد أن أسقط وأنهض وحدي، أنا بحاجة شديدة لأصرخ في وجه العالم وأقول: أيها العالم البشع، اتركني وشأني، أريد مواجهة المصائب وحدي، أبعدوني عن

نصائحكم الوقائية العقيمة التي تجعل من الحياة سجنا جدرانه تضيق يومًا بعد يوم.

إرتياب أمي يتصاعد أكثر، زخات تلميحاتها تدخل في اطار التجريح، فهمت جيدًا أن قوتي كلها كانت مستمدة من وقوف أبي جانبي، كنت مدركة ذلك جيدًا من قبل، لكن لم أتوقع أن أعيش يومًا دون أن يكون والدي ظهري وسندي في كل المعارك حتى التي أخوضها ضد أمي.

الأب هو الأصل، هو الجذور التي لولاها لما صرنا أغصانًا نجابه معارك الحياة الدامية بكل فصولها، الفرح، الحزن، اليأس، الأمل، النجاح، الفشل، الصخب، الهدوء..

أما أمي وبعد نفاذ توقعاتي بأن يعدل أبي عن رأيه، صنعت داخلي قلقًا وخوفًا كبيرا، صرت أتجنب رؤيتها، صوتي في حضورها غدا رجاءا، أنا لو أكره بشدة شيئًا في حياتي فهو احساسي بأني ضعيفة أمام أحد.

في تلك الأيام كنت أهرب إلى يامن بكل أحاسيسي وضعفي، كان يحتويني جدًا، يسمعنى، يفهمني، يسرقني من قوتي إلى قلبه، ظهر في وقت يكون فيه ظهور الرجل في حياة المرأة بنسبة كبيرة حالة عشق وغرام، في تلك الأيام تحديدًا صار يامن حبيبي علنًا... من بعد ذلك أصبحت شكوك أمي

جنونًا، اختلطت الضغوطات وتتثاقل فوق ظهري واحدةً تلو الأخرى، الزواج، العمل، الدراسة، أمي، أبي، يامن، سماح، وائل، محمود، استقلالي، خضوعي، وأكثر وأكثر.

أمي كانت تشعر بحالة مزاجية رائعة حين تحط من قدري، لكن ولا بأي حال توقعت أن تصل لهذا المنحى الخطير، بعد مرور قرابة الشهر، يئست وانتهى موضوع الزواج، أفلست جزئيًا أمام عنادي، نفذت أمام ذخائر الهجوم، لكن لم تنته رغبتها في تدميري، ولم تتوقف عن الحديث بفوقية شديدة معي. يامن صار علنًا، الآخرون قريبون، كانوا سرًا، لا أحد يعلم عن الآخر إلا ما أشاء.

كنت جالسة أمام جهاز الحاسوب في غرفتي، كان الوقت متأخرًا جدًا وأنا أرتدي ملابس خفيفة جدًا تبرز نصف نهدي من فوق وتستر الباقي، أكتافي يسقط فوقهما خطان أزرقا اللون يحملان ما أُخفي من نهدي. أنا منذ فترة قصيرة اعتدت ألا أتحجب أمام يامن، يامن فقط، بل لا أمانع من إجراء محادثة "فيديو" معه عبر "السكايب"، أقصد أن الأمور بيني وبينه وصلت للحد الذي يتبخر فيه الكثير من الخصوصية والوقار.كنا نتحدث عن سماح وزميله محمود، وكيف ساءت الأمور بينه وبين محمود بعد أن انتقل وائل للإقامة مع والديه الذين قطعا حياتهما وجاءا في إجازة

طويلة للعيش مع ابنهما، كنت مندمجة، مندمجة جدًا معه، يقول لي أخبار ا أعرفها سلفًا، بيني وبين نفسي كنت أحاول اغراءه.لا أعرف كيف فكرت بذلك وأنا التي من المفترض أن أحجب هذه المنطقة من حياتي عن يامن، وجدت نفسي أسعى لاقحامه فيها دون غيره.

دخلت أمي الغرفة فجأة، ارتعشت من هول ما أنا فيه، لم تدق الباب، دخلت على حين غرة، لم أجد نفسي إلا وأنا أغلق جهاز الحاسوب بعنف وبسرعة، نظرت لأمي وأنا أحاول التماسك، كانت نظراتها قوية وقاسية، شرسة جدًا، زاد ارتباكي وصرت أرتجف بطريقة خرجت عن سيطرتي، لم أخف في حياتي مثل هذا اليوم..

تلعثمت وسألتها ما الأمر...

أجابت بلفظ خارج، خارج جدًا، لن أنساه في حياتي..

اقتربت ناحيتي وصفعتني على وجهي وقالت، لهذا السبب تمتنعين عن الزواج؟

ثم أعادت اهانتي بشكل أقسى وبلفظ أشد انحطاطًا.

ثم انهارت تضربني بهسترية على وجهي وجسمي، جسدي صار يحرقني، صرت أسمع رنينا حادا ينخز في أذني، كان صدى الضربات يمزق طبلة أذني..

فجأة توقفت وهي تنظر بحدة أشد، كأنها لو تذكرت أمرًا خطيرًا لا يسعف اللسان على النطق، خفت أكثر، بل وصل بي الحد للتفكير بالقفز من شيئ ما أو الهروب نحو الباب ثم إلى الشارع، الأفكار التي دارت في رأسي كلها كارثية، اقتربت مني وسألتني بصوت خفيض فيه من التهديد الكثير..

- إنتي بنت؟

نعم سألتني هذا السؤال، أمي سألتني إذا ما كنت بنتا أم لا، أمي أول من شك في عذريتي، أمي أول من شق قلبي، أمي أول من ذبحني بالمعنى الأكثر إيلامًا من الذبح الجسدي..

أمي أنا، الشيء الذي يسمى أحن انسان في الوجود سألتني هذا السؤال الذي أصاب عقلي في مقتل، ثم طلبت مني خلع ثيابي، لم أستسغ الطلب، ولا فهمت مغزاه في الثواني الأخيرة،وما أن أدركت أنها تريد الكشف عن عذريتي، فقدت عقلي.

لا أعرف كيف جاءتني تلك القوة، لا أعرف صدقًا أين ذهب عقلي، قفزت نحوها وبدأت أضربها بعنفٍ شديد، لم تكن لدي القدرة على التحكم بنفسي، أقسم بكل شيء مقدس أنا لا أعرف كيف فعلت ذلك، كنت أضربها بغلٍ شديد، كانت تصرخ، وجهها كان مستسلمًا كضحية بينها

وبين الموت لفظ الشهادة، مزقت شعرها وثيابها، كانت ستموت حتمًا بين يدي لو لم يستيقظ أبي من نومه لينقذها من يدي ويرى كلانا يكسوه العري!

***

يامن

يا عذابي، ما أطيب خلوتنا، ما حدث في الممر الجامعي كان جمرًا أذاب آخر حاجز بيني وبين سارة، مذاق شفتيها بطعم التوت البري. جسدها ذاك الوقت كان معطرا بشذى الخُزامى،ثيابها الحرير تحس إن لمستها لمست الجسد مباشرة،سنوات بطيئة مرت حتى ظفرت بهذه الطفرة القدرية، سنوات حتى استطعت استطعام شفتيها بهدوء وفرح.

هذه السنة فارقة في حياتي، مليئة بالمفاجآت والمصائب، في هذه السنة تجلت أهمية التفكير في المستقبل، عقولنا من قبل كانت تُفكر بحد أقصى مسافة شهر للأمام، الآن ونحن على مشارف نهاية السنة الدراسية الثالثة. أظن أننا نضجنا وصار جديرًا بنا التفكير بالاستقرار، نحن أيضًا على عتبات

الرحيل، باقي شهور على نهاية الكثير من علاقات الصداقة في هذا البلد، لنا خبرة في الوداع، نودع كل سنة صديقا لا نعود نعرف عنه شيئًا..

انشغلت هذه الفترة عن وائل، كان محمود يزوره من وقت لآخر، عرفت من محمود عن موعد عودة أهله، أفادني برغبة وائل بالبقاء في الشقة معنا، أو انتقالنا نحن للشقة التي اشتراها له والده، خلال تواجد وائل مع عائلته كان لقاؤه صعبا، أظن والده يحملنا مسؤولية ما حدث بشكل ما، حين قابلت وائل معه في أحد المقاهي مع والده، لم يكن اللقاء وديًا كثيرًا، والده لم يكن مرتاحًا لتواجدي لذلك ارتأيت المغادرة سريعًا بعد أن أبلغني والده برغبة وائل في العيش لوحده في شقتهم، لم يكن وائل على طبيعته، متوترًا جدًا وضعيفًا أمام والده.

سارة منذ آخر مرة تحدثنا عبر "السكايب" لم تظهر مجددًا ولم تأتِ للجامعة، كان الوضع مقلقًا جدًا وأشغل عقلي طوال الوقت، كنت مربطًا في حركتي، أرفض لقاء أصدقائي بحجة أني مشغول، لم أكن مشغولًا بالمعنى الحقيقي، كنت عاجزا عن التفكير بشيء غير سارة، ملكتني هذه المرأة، ظننتها تتلاعب بي لوهلة، لكني وضعت احتمال أن مشكلة ما حدثت معها، لا شيء يجبرها على الهروب

فجأة غير مصاب كبير، لا يوجد تفسير غير ذلك خصوصًا أنها في ميزان العلاقة هي المسيطرة والمتحكمة بكل مجريات الأمور، أنا خاضع لها بإرادتي الحرة.

لا أدري لماذا يضايقني أخي بتصرفاته، أحد أصدقائه الذين درسوا في نفس جامعتي، وكان قد تخرج مؤخرًا، عاد إلى البلد وأخبر أخي الكثير عن حياتي، أقصد عن فساد أخلاقي بمنظوره، أخبره كيف تسير حياتي، شيئ من حكايته لأخي كان حقيقة، وجزء كبير اختلاق لأكاذيب تصب الجمر على اسمي.

لا فرق كبيرا بيني وبين أخي، الفرق الوحيد هو الطريقة، أخي يمارس الجنس مع زوجاته اللواتي لا أعرف حقيقةً كم عددهم الآن، يظن أن زواجه من أرامل الشهداء سيدخله الجنة، لا أدري كيف استطاع اقناع الناس حوله بذلك، أنا خير من يعرف كيف يفكر أخي، الزواج من أرامل الشهداء لا يكلف مهرًا كبيرًا، أحيانًا يضيف ثروة على ماله.

هذا الجيل الجديد من المتدينين العصرين في بلادي يمتاز بالقدرة على إيجاد حلول إفتائية غريبة للوصول لغايات يرفضها المنطق، لديهم طريقة مذهلة في عرض غاياتهم الدنيوية على أنها أعمال خيرية، جيل المتدينين هذا ثري جدًا مقارنة مع باقي فئات الشعب.

في احدى نقاشاتي الدامية مع أخي وقبل أن يستعيذ بالشيطان من أفكاري قلت له:

في كل مجتمع توجد طبقة فقيرة وطبقة متوسطة وطبقة غنية، أما عندنا، بفضلكم ظهرت طبقة جديدة، طبقة المتدينين التي تقع ما بين المتوسطة والغنية، استفزه ذلك جدًا، أظن حواراتي مع أخي كانت بمثابة ماء يروى بذرة كراهية، مع الأيام البذرة صارت شجرة متينة..

كل هذه المشاكل جاءت مرة واحدة، من حسن حظي أنّ المشاكل في حياتي تأتي موسمية، لا تأتي فرادى، واثق تمام الثقة من ذلك، تلك القناعة ساعدتني بشكل كبير على التماسك ومواجهة العقاب بهدوء وعقلانية، وهذا ما أختلف فيه عن محمود زميلي في السكن.

على رغم من الازعاج الذي يشرق من بلادي، وأزمتي مع شكسبير ومسرحياته في الجامعة، وكراهية محمود وأخي المتصاعدة، وتصدع علاقتنا في البيت أنا ومحمود و وائل، وتراجع صحتي بسبب سوء التغذية والتدخين، وعلى الرغم من الهموم التي تزورني من وقت لآخر، والغصات المهرولة خلفي من تجاربي القديمة، على الرغم من كل ذلك، إلا أن سارة شغفي الأكبر، حياتي كلها مرهونة ببسمة منها ولحظة رضا..

كان يوم احتفال الجاليات في جامعتي يصادف يوم الأحد من الأسبوع القادم، وائل سيشارك في قراءة قصيدة شعرية، صوت وائل جهور وهو عضو رابطة الطلاب المغتربين، الرابطة تضم شبابا من عدة جامعات في المدينة، اتصل بي ونسقنا أمر ذهابنا سويًا.

الوقت يمزقني وأنا أقاوم هواجسي، مر الأسبوع، كان مرورًا عصيبًا انعكس على مظهري، كانت ذقني فوضوية وشكلي غير مرتب، أبدو كمن خرج للتوء من السجن، قابلت وائل وهناك برد قلبي.

في احدى طرقات الجامعة ومعي وائل، مشينا والأشجار من اليمين واليسار تعانق غصونها بعضها البعض، الهواء عليل يمر طيبًا كقبلة التوت، مشينا بتؤدة، بمحاذاة الشجر، وعلى الأصدقاء الذين نعرفهم، نرمي السلام مجاملة، الناس في الجامعة ترتدي ثيابًا غريبة، بعضهم فصل علم بلاده على شكل قميص، شعرت كم أفتقد للشخصية الاجتماعية ذاك اليوم، لم أناقش أحدًا بشيء، تغاضيت عن هفوات كثيرة مستفزة، أنا أبغض هكذا فعاليات، عادة لا أكف عن السخرية، كنت منطفئًا، لم يستفزني شيء، شعور ما يسرقني، مثل جبنة أمام مصيدة فئران، أردت الهروب من ضجيج الحفل، استأذنت وائل،

استغرب ذلك بشدة، وائل بطبيعته يشعر بالخجل من البقاء وحيدًا في الأماكن المزدحمة والتي لا يعرف فيها أحدا، أصر على مرافقتي، حاولت الهروب بالتحجج بضرورة ذهابه لالقاء قصديته الوطنية، قال الوقت مبكرًا وانعرج معي لطريق منعزل عن زحام الحفل..

مشيت ولم أعرف أين خطاي تقودني، تركت الصخب في باحة الجامعة وتوغلت في الأماكن النائية بها لأفاجأ بسارة تجلس بمحاذاة نباتات الخُزامى التي لم ألاحظها من قبل في الجامعة.

توجهت صوبها والدهشة والفرح يتنافسان على احتلال جسدي، لم تكن سارة، كان خيالها..

رائحة الأعشاب المبللة واللافندر المشتعلة أضافت هيبة خاصة لتوتري، بعد أن مضغت هلوستي وبلعت دهشتها، جلست مع وائل وتحدثنا بأمور سطحية يغلبها المزاح، كان ذلك هربًا من رعبي.

حاولت التحكم بانفعالي وأفكاري، منذ البارحة وأنا أحاول طرد الأفكار السلبية التي صاغها عقلي خلف غياب سارة، وصل بي الحال بتقبلي لفكرة أن يأتي أحد من عائلتها ويطعنني في ظهري!

تهربًا من هذه الأفكار أخذت وائل إلى الحفل ليلقي قصيدته وأنشغل عن ما أنا فيه، لكن وائل تحديدًا ما يخيفني، هو أكثر جنونًا وهوسًا مني، وجودي معه مرض يتفشى، وائل مغرمٌ بامرأة لم تُخلق أصلًا!

يؤمن أنه هناك امرأة اسمها ياسمين، يكره جدًا كل من ينكر وجودها، والده وصل معه لدرجة ميؤوس منها، لا أطباء أنجدوه، لا شيوخ، لا حجاب، ولا مخاوي الجن والعفاريت، وأنا الآن أشبهه، أهلوس مثله في اليقظة لا في الحلم!

هل سأصبح الآن نسخة مكررة من وائل؟ عادت الأيام التي تجاهلت فيها أفكاري عن قصد، كأن رائحة اللافندر فجرت كل كبتي وأحدثت ثقبًا في سد الأوهام الذي بنيته من جليد..

***

وائل

استيقظت منسجمًا جدًا مع صوت العصافير عند الصباح، استيقظت عند الساعة السابعة بالضبط كما لو كنت رجلا يضبط مواعيد نومه بالميزان، نشيطًا ومتفائلًا استقبلت النهار، أعددت الشاي بسبعة ملاعق سكر على رغم من درايتي الكاملة بأضراره كوني أدرس الطب.لا ضرورة للاعتناء بصحتي هذا اليوم، العيش بنظام صحي صارم أمرٌ مرهق يرتقي لدرجة المستحيل.

هذه السارة لا أدري كيف ذكرتني بحبيبتي بهذه الطريقة المترعة بالفقد، الناس تتشابه بالشكل وتختلف في الأسلوب، لكن ياسمين وسارة، تشابه بالحضور والملامح يقترب من التطابق، نظراتهما واحدة، والنظرة في مدارس الهوى فتنة في الحب.

كأنها كانت هناك، تجلس بين الزهور، وكأني كنت غيري معها، سارة الناعمة الجميلة، لا أفهم كيف يرى لها يامن أنيابا؟ هل امرأة بهذه الرقة يمكنها أن تفترس أحدًا؟

جميل هذا الصباح، سأعود إلى حريتي، الليلة سيعود والداي إلى مرساهم، ستعود حياتي طبيعية سكر زيادة، جلست أمام المرآة أعيد قراءة ما قلته في الحفل لأرى كيف كانت ملامحي حين رأتني سارة وياسمين.

أظن أن ما يحدث بيني وبين المرايا أمرٌ خارق، أمرٌ مروع أن ترى وجهًا غير وجهك على المرآة، لم أكن أنا، كان وجه رجل عجوز أشيب، يبدو عليه الوقار، التدقيق في بؤرة عينيه لا يكشف شيئًا..

جاءت ياسمين من خلفه تربت على كتفه، ظننتها لوهلة جارية، بدأ العجوز كلامه:

"لا يعيب الرجال العمر، يعيبهم الفقر، وأنا يا ولدي لست قديسا، لدي من المال والخصوبة ما يكفي لأحب امرأة غادرت للتو طفولتها، إنني في النهاية بشر ولدي حاجتي الفطرية، أبتعد عن ما يغضب الله، لكن هذا صعب، صعب أن أقضي العمر أصارع رغباتي وشهوتي المشتعلة..

وسمعتي لا تخصني وحدي بل تطوق قبيلة، أنت ابن لهذه القبيلة، صحيح أنا لا أعرفك شخصيًا، لكن أعرف أنك ربما تكرهني جدًا، لكن دعني أصارحك بحقيقة مشاعري والتي لم أعترف بها لأحد من قبل.

ألا أستحق امرأة يافعة بدلًا من عجوز شمطاء تغتصب دافعيتي للحياة والحنين إلى الشباب؟ أحمل على عاتقي مسؤلية أكثر من مئة فرد ولا أشكو، في مثل هذا العمر يا بني تولد الشهوة من جديد، تعود المراهقة لكبار السن . أنا كنت محظوظًا بياسمين عند انتعاش هذه الرغبة داخلي، تكفيني ملامسة جسدها العاري لأعود لشبابي، إن الزواج من امرأة في العشرين هو الدواء الوحيد للشيخوخة يا بني، إن مراقبة نهديها وهما يتكوران بين شفتيك أمرٌ جلل، عشرةً بين النخيل وزارعه..

ماذا تعني الحياة دون إثارة؟

أعرف أن ياسمين لا تحبني وكل ما بيننا عشرة واحترام، أرى ذلك في عينيها واضحًا بعد كل مضاجعة، لا أستطيع إجبارها على حبي، لكن يمكنني إعطاؤها السعادة على طبق من ذهب، جعلتها سيدة نساء القبيلة، علمتها وأحضرت لها مدرسين إلى البيت، ولأني أعرف إلى أين ستقودها الوحدة، لم أجعلها وحيدة، اشتريت لها أصدقاء وأهل ونشاطات لأملأ وقتها كي لا يغريها التفكير بكسر شوكتي..

لا أحد غير ياسمين يمكنه اختراق خلجات صدري وينثر عليهن الندى، أتعلم كم جميل أن يحط على يديك عصفور؟

إني أهواها وأهوى أهداب عينيها والمكر الساكن بينهما، وأعرف جيدًا أنها لا تراني بغير عين المال والأمان، أظنها ذكية، لذلك مهما بلغت شدتي سأظل أقدم نفسي أمامها برجل السلطة والمال، هكذا تُحبك النساء بالعموم.

إن اللحظة التي تخلع فيها ياسمين ثيابها وتنحني لتقبيلي، لحظة مدهشة تعكس خضوعها الذي أشتريه بكل ما أملك، تمنحني ياسمين فيضا من لذة حقيقية، تعطيني الحب بكرمٍ وإخلاص شديد لا غبار عليه، تمامًا ككادح يبني مستقبله بنفسه.

أفعل المستحيل كي لا أبدو كبيرًا عليها، أعاني من قهقات الناس وأحاول أن أمنع وصول أي كلمة تجرحها، قد لا تدرك كم هو مرهق هذا الأمر وحده، أضطر لذلك شراء ناس رخيصة لا حاجة لي فيهم سوى تهذيب ألسنتهم، كل ميزتهم أنهم قادرون على إيصال رأيهم لياسمين.

أفعل المستحيل وأنا أقود الأحاديث العفوية أمامها لصالحي، أسرب لها أراء تلبي نرجسيتها وتمتدح قرارها بالموافقة على الزواج مني، أُسرب لها أناسا يحسدونها على

الزواج مني.. كل هذا ليس سهلًا، ليس سهلًا يا وائل، اشتريت نصف القبيلة حرصًا على سعادتها، النساء في النهاية على استعداد أن تحب القرود طالما اهتمت بها.

أعاملها بحذر شديد خوف أن ينكسر شيئ بيننا، تمامًا كما لو أنها لؤلؤة غالية الثمن، أداعبها برفق، وأجيش الناس لتحميها وتخدمها، حتى رغباتي الحميمية، أتنازل عن كل ما يحط من قدرها على السرير.

تجربة الزواج من ياسمين كانت تطهيرا لهواجس مخزنة، وجودها في هذا البيت لو اعتبرنا البيت الجسد فكل ما فيه من روح ينبض من ياسمين.

كل صباح أستيقظ فيه، يسري داخلي شبق مجون، أدفنه بقبلة واحدة على وجنتها وأهرب. أحاول أن أكون في عينها إنسانا يوازي في هدوءه ورومانسيته شابا متوهج القلب، لا وحشًا يغتصبها ليل نهار..

أنا مخلص جدًا لها، وأدرك أنها يومًا ستدرك كم كنت قاسيًا باحترامي وتقديسي لها، لن تجد ياسمين مبررًا ولا سببًا لتخونني مع رجل أخر، أنا أخطط لذلك، يومًا ما ستهلك طاقتي، لذا اهتمامي وعدم تقصيري بحقها سيكونا رادعًا قويا لأي فكرة تغرد بها خارج جسدي.."

سكت العجوز الماثل أمامي على المرآة، نظر أعلى كتفه اليمين، حدق في ياسمين القابعة خلفه، كان شعرها العسلي الغزير منسدلًا على أكتافها بفوضوية مثيرة، ابتسمت للعجوز، أسقطت عن أكتافها الثياب وانحنت بحركة فاتنة تُقبله، كانت راضية تمامًا، قبلة بسبق إصرار وترصد..

فجأة تغيرت الصورة، التفت رأس العجوز نحوي، لكنه لم يكن هو، كان شخصًا مغايرا أعرفه جيدًا، ياسمين تغيرت أيضًا، كانت امرأة أخرى، ابتسمت وبان صف اللؤلؤ أسفل فمها، أعرف هذه المرأة جيدًا، جسدي بدأ يرتعش ويخرج عن سيطرتي، كان شيئًا أقرب للسحر، كانا يامن وسارة!

انتفضت وارتطم ظهري في الحائط، كانت بعض الحبوب المخدرة قريبة مني، ابتلعتها كلها بلا تردد ..

***

محمود

أجلس مع سماح في المقهى القريب من الجامعة، أساير أحاديثها، أدعي الانتباه، مشاعر الحقد تغلي في دمي، الحديث مع هذه التابعة مجرد سفسطة لا فائدة منها، غبطة شديدة تنتابني اتجاه سماح تجلت واضحة بعد لقائها ومصالحتي لها، نغمة الغرور والانتصار بدت في صوتها واضحة، أتمتم في سري: من هذه الفتاة التي تقهرني؟

تابعية سماح لسارة أسقطتها من نظري، بدت جارية عندها، كيف أقبل على نفسي محبة امرأة تحركها امراة أخرى يُحبها صديق أمقته؟!

لا أفهم كيف استطاعت سارة التأثير على سماح بهذا الشكل، سماح تدرس هندسة، احدى كليات القمة، أقصد من المفترض بالمنطق البسيط أن تخضع سارة لسماح وليس العكس، مهما كان، سارة تدرس في كلية الأغبياء..

تأكدت أن الوحيدة التي تستحق حبي نور، البؤس هو أن يغدو الوحيد الذي تتمنى استكمال الحياة معه مستحيلا، نور متزوجة ويجب أن لا أنسى ذلك، سيكون من الأفضل لو استأجرت أحدًا ينبهني بهذه الأمور كلما نسيت.

تجلس أمامي سماح بجمالها الآخاذ، تحدثني بفرح كبير، أعرف سبب ذلك، ظهوري بمظهر الخاضع أمام صديقتها، حقق لمشاعرها نشوة مميزة، النساء لا تكف عن التباهي بوضع الرجال خواتم في أصابعهن، يرغبن مداعبة مراهقة للفوز برضاهن، لذلك أحب نور، دائمًا نلتقي سرًا ضمن مساحة وقت محدودة، نخاطب الرغبات من القمم ثم نزولًا إلى الأرض، لا توجد فقرة الصعود، بالطبع ذلك أحلى، نزول السلالم أخف من صعودها وأكثر للقلب بهجة.

لا أبالغ، أشعر بالنفور من سماح، المرأة التي أحببتها وفكرت بها زوجة، مشهد انقيادها وإذعانها الحي لسارة، أذاب كتلة الحب، شعرت بإنقباض يتزايد وأنا أراقب سذاجتها بعين ناقد، لم يبق في قلبي اتجاهها إلا مشاعر محدودة، اشمئزاز، وانتقام يكسر شوكتها أمام صديقتها التي بأسلوب ما شعرت أنها أهانتني.

***

يامن

شكوك أمطرت رأسي من غياب سارة، عدم رؤيتها كل هذه الفترة، أمر غريب ومروع في آن واحد، طوال الوقت والقوة تشرق بوضوحٍ من عينيها، لماذا غابت..

جلل، جلل، يا رأسي، أخيرًا ظهرت، هذه المرة رؤيتها لم تكن هلوسة، كانت حقيقة، كانت مختلفة، غطى وجهها الشرود والتعب..

هات رأسكِ أضعه على كتفي عسى المستحيل يغدو ممكنًا، إذا كنتِ مصابة بلعنة التعب، وحده رأسك على صدري يعالج الأنين، وهل هناك ما يشفي الوجع غير الحب؟

ليس سهلًا معرفة ما يُقلق سارة، كبرياؤها عنيف جدًا، بعض الناس يفضل الموت عن الشكوى، أمامي تحدي كبير وصل لحد الترجي والتوسل.

في مول الجامعة، الطابق الأخير، جلست سارة أمامي صامتة، الطابق الأخير عادة ما يكون فارغا من الطلاب، أنهت سيجارتها الأولى دون أن تتفوه بكلمة، أما أنا أقول أشياء سخيفة، أحاول اضحاكها دون جدوى.

سألتني سارة:

- إنت عايش لوحدك؟

صدمني سؤالها بشكل ما، حين تسألك امرأة سؤالا تعرف اجابته سلفًا عليك أن تكون حذرًا قدر الإمكان وفكر بالغاية من السؤال وتأنى بالاجابة، لا تتسرع مع امرأة تسكنها ثعالب وذئاب.

كان علي أن أكون دبلوماسيًا في مثل هذه اللحظة:

- معظم الوقت أعيش لوحدي، محمود معظم الوقت خارج البيت، رغم أنه يعيش معي في نفس البيت إلا أننا قليلًا ما نلتقي.

ابتسمت أخيرًا وكأنني أجبتها بالذي تشتهي سماعه، أحسست بقشعريرة، عقلي غرد صوب اليسار، وضعت سيجارتها في المنفضة وأطفأتها بشكل مثير، مثير جدًا، مثير كحلمةٍ تلمع من تحت ثياب.

من محاسن الحياة أن تتلاقى فكرتان في ومضة دون الحاجة للكلام، هرمون السعادة أفرز نشوة تهز أعتى جبال الثلج في الشمال.

أشعلت سيجارة أخرى ونفثت دخانها في وجهي وقالت:

- دعنا نذهب لشقتك الآن، سأنتظرك أمام مدخل الحي بعد نصف ساعة.

شقت الصدمة ملامحي وأنا الذي ظننت أنّ وجهي غير قابل للدهشة، أومأت بالقبول، طفلٌ مطيع في حضرتها، من الذوق أن تمنحني نصف ساعة أتدبر أموري، اتصلت بمحمود واستأذنته ألا يأتي إلا البيت مبكرًا، قال أنه يريدني لأمر هام مع وائل الليلة، صوته مقلق تفوح منه المصيبة، لكن ما أنا فيه أهم، لذلك لم ألح ولم أدع فضولي يأخذني مما أنا فيه، وقلت لا مشكلة وذهبت لسارة، انتظرتها أمام مدخل الحي، لمحتها خارجة من الصيدلية، لا أهمية للتفاصيل.

كنت متوترًا جدًا على غير طبيعتي، أعصابي مشدودة، قلق ومشحوذ الهمة لأعرف ماذا سيحدث أمام كل دقيقة لم تمض، أمنياتي الشهوانية تضاعفت وعطلت عقلي تمامًا، لم أر سارة دون حجاب من قبل إلا عبر الانترنت عبر

المحادثات المرئية، كان يحمل الانتظار في جعبته ملايين الأهوال والهواجس، كأني ابن الكبت وأرى لأول مرة امرأة تغريني بتلميح لا يحتضن اليقين.

جاء صوتها هشًا وشجيًا، عميقًا على نحو هز أعماقي:

- هيا بنا ..

كل ما قالته وظلت صامتة طوال الطريق تراقب نظرات المارة وتتحداهم وتعود مع كل خطوة إلى جرأتها وقوتها الطبيعية التي عرفتها فيها.

خائفة من الناس،لكنها تقاوم خوفها، أما أنا أرى بوضوح كيف تقف الطبيعة ضد المرأة، لا يهمني كلام الناس، تهمني نفسي، أدرك مهما حصل من هول لن يعود بالوجع شيئ لي، لكن ربما يودي بحياتها وحياة أي امرأة فكرت أو مضت إلى التمرد بقناعة راسخة.

صرنا في أول الشارع الذي يقع فيه بيتي، طلبت منها الانتظار لأستكشف أمر البواب، شرحت لها ذلك وأشرت باصبعي على البناية التي تقع فيها الشقة، وقلت:

- انتظريني هنا أنا في الدور الرابع من تلك الشقة، بمجرد اتصالي بك،تعالي ولا تستخدمي المصعد، استخدمي السلالم أفضل..

كل تلك الاحتياطات نأخذها دائمًا كي لا يزعجنا فضول الناس المحاصرلنا على الدوام.

وقلت لها من باب الاحتياط:

- في حال استوقفك أحد من سكان البناية قولي ذاهبة لبيت الدكتورة اسراء ..

اسراء طالبة مغتربة تدرس طب وتقطن في الشقة في الدور الذي يسبقنا مباشرة، كان البواب يجلس متربعًا على عرش الرصيف وينظر لي بابتسامة خبيثة، وسألني وكأنه يعرف ما في ذهني:

- عاوز حاجة يا باشا؟

- مش تقولي السلام الأول..

- حقك عليا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

قالها كما لو كانت لحنا، البوابون في هذا الحي ماكرون جدًا، تشعركما لو أنهم سلطة عليك..

أعطيته مبلغا من المال يعتبركبيرا بالنسبة لطالب، أخذه وقال:

- ربنا يديك الصحة يا باشا...

ثم تحرك صوب نهاية الشارع وهو يترنح داخل عباءته الواسعة.
صعدت على الفور للشقة، رتبتها في أقل من دقيقتين واتصلت بسارة وسألتها أن تأتي الآن، ذهبت إلى الشرفة لأراقبها وأراقب نظرات الناس من فوق..

فتحت الباب قبل وصلوها، دقات قلبي تتسارع بشدة، شيئ داخلي يريد الفرار إليها واللجوء الأبدي لمرساها، هرولت إلى داخل الشقة، دخلت خلفها وأغلقت الباب بالمفتاح.

استدرت وأنا أفتقد لكل مفاتيح الحديث، نقف في صمت قصير أمام وهج النظرات الحارقة، هرب قلبي وقلبها من أعماقنا وجلسا على الأريكة أمام الباب،هربا ليراقبا ويشاهدا ماذا سيحدث، تنازلا عن حقهما بالشعور بما سيحدث مقابل رؤية هذا الحدث المهيب.

تمالكت سارة نفسها أسرع مني، بدأت بخلع الحجاب، أحسست كم أنا ضعيف أمام حضرة هذا المشهد، لم أبادر بشيء، أين رجولتي في وضع كل البدايات على عاتق حبيبتي؟

بمجرد ما اشتعلت هذه الهواجس في عقلي، أسرعت وحضنتها، غرس دبوس الحجاب جسدي بغير قصد، لم

أشعر به من لذة اللحظة، كانت نشوة ملامسة جسدها عن قرب أقوى من كل إشارات الألم للذهن..

يداها باردتان جدًا، وجهها مشتعل من التعب، أمطرتها بالقبلات حتى تمنعت عند الشفاه، احترمت ذلك وعدت لرشدي، شعرت أني انزعجت من تمنعها، تداركت اللحظة وقالت:

- أول مرة أحس إني أنا.. مش عارفة، ممكن تحضني تاني؟

بهذه البساطة وهذه الكلمات القليلة،سارة بدت أرق وأحن وأكثر امرأة نعومة بالدنيا.

أظن أنّ الحبيب حين يوجه كل مشاعره اتجاه محبوبه ذي الشخصية القوية، صعب المنال، حين تقف كل حواسه في صف الحبيب.. يصير اللقاء الأول بعد المستحيل خلقًا جديدا لشعور لم يسبق له أي مثيل طوال فترة حياته..

ابتسمت وراحت يدي تسحبها من خصرها صوب صدري، ويدي الأخرى تغرس نفسها بين خصلات شعرها وسقط الحجاب عن رأسها بحرِ إرادته.

سقط الحجاب وحده، لم نفعل سوى أنا رفعنا الأقفال عن أطرافه..

تعففت عن تقبيلها قبلات جريئة في البدء حتى أحسست بتفاعلها معي، جذبتني إليها بيدها وقبلتني قرب شفتي، حينها هاجت فياضين جرأتي، لم يكن التقبيل رومانسيًا وحسب، كان صورة تشبه الخمر حين يلتحم مصادفة مع صهريج نار.

استيقظت على صهوة الحب أخيرًا،كل العلاقات السابقة كانت بائسة، مقرفة، قبلات الماضي لم تكن شيئًا، كانت محض سكين احتكت بتفاحة فشوهت مظهرها..

حي على الحياة، أهلا بالسعادة، لم يكن جنسًا، كان حبا..

اخترقت أناملي الخزان، لم تدقه وحسب، بل مزقته، الحياة لا تحتاج لاستئذان، الحياة تحتاج لقوة كي تتنفس عبيرها بحريةٍ من أي مكان.

عضت يدي خصرها، التصق جسدها بجسدي، ذهبت مع الريح ثيابنا، وراحت يد كل واحد منا تطبع وشما على جسد الآخر..

سقطنا على الأريكة ويدي تمزق عن جسدها آخر الثياب، وما أن فرغت حتى لاحظت يدها تخرج من شنطتها واقيا ذكريا لتعلن بذلك نهاية حياتها المستقرة بالنسبة للمفروض والمرفوض في المجتمع.

لم أملك الوقت الكافي لأفكر بالقبول والرفض، ستكون حقارة غير مسبوقة في حياتي لو رفضت، وستكون جريمة إن قبلت، سارة كانت قبل هذا اليوم عذراء ..

***

سارة

دب الرعب في قلبي، بعد الصرخة التي خسرت فيها عذريتي أمام يامن، تملكني خوف شديد واستحكمني بقوة، وجدت نفسي أبكي وأنا أضم يامن من فوقي، جسده بدا يتصلب وهو يضاجعني، اخترقني ألم عجزت عن مقاومته، لا لشدته، بل لجاذبيته، ضاعت نشوتي بين الخوف والألم..

أنا الآن لا أصلح لأن أكون زوجة على الطريقة التقليدية، ربما أملك شهادة جامعية، ربما أجيد الطبخ والغسيل، ربما أملك قوامًا ممشوقًا شهيًا، ربما أملك مستقبلًا جيدًا، لكن.. كل هذا لا شيء، فأنا لا أملك غشاء يفاوض به أبي على مهري مع والد زوجي الروتيني..

أضعت فرصة الخلاف بين أمي وحماتي على نوع الذهب والثياب التي سأقتنيها لأبدو شهيةً أمام زوجي، على سريرٍ مجهز بأكثر من "ملاية" مزركشة.

يبدو أن مزاج الندب سيأخذ حصة الأسد من أيامي القادمة،حرصت على ألا يحس يامن بمشاعري، أسندت ظهري العاري على السرير، أشعلت سيجارة أحرقت فيها شبكة أفكاري ونفختها مع الدخان..

شبت الرغبة في قلب يامن مرة أخرى، وضع يده تحت اللحاف حتى وصل إلى ثغري، كان هذا بمثابة عرض لوجبة أخرى من الجنون، كان علي قبولها كي يصير انتهاكي لعذريتي عن سبق إصرار وترصد...

أغدق يامن على قلبي وجسدي حبًا يغير فحوى الخطيئة، زادت كفة الشهوة في جسمي ورجحت أمام خوفي وتركت كُلي يحلق في غيمة إلى أن تلاشت الدقائق رويدًا رويدا وعدنا إلى رشدنا نستوعب ما حصل..

هنا مس قلقي قلب يامن، سارع بضمي وهمس إلى جوار أذني:

- أنا لن أتخلى عنك، يا أم ..

وقبل اكماله للجملة وضعت اصبعي على فمه وقبلته:

- أنا حرة وفعلت ذلك بكامل وعيي وارادتي..

سحبت غطاء السرير الموشوم بقطرات الدم، أخذت عن الأرض ملابسي الداخلية وذهبت للحمام..

أمام المرآة تأملت التعب، وجهي بدا مهترئًا، جنوني أودى بشرفي كما يُشاع في مثل هذه الحالات، صدقًا كنت أمام مشهد سيرالي..

أرى الدموع تنهمر من عيني ولا أشعر بها، فزعت لذلك، شهقت كثيرًا، لا أعرف ما حدث بعدها، هل كان ضحكًا أو بكاء.

ما كان يضمره يامن اتجاهي حُب، أما أنا، فلم يكن سوى ثقة، ما دفعني لفعل ما فعلت، التمرد، أما ما دفع يامن، أظن الحماسة الشديدة ما أودت به، وانعدام أي تداعيات تنعكس سلبًا عليه اتجاه قبوله الغرق في سفينتي.

الوقت سرقني، باقٍ على موعد الحافلة ساعة كأقصى تقدير، غسلت وجهي وجسدي جيدًا، وضعت غطاء السرير في الغسالة، خرجت من بيته شامخةً بعدما لحفنا الصمت فترة طويلة، لم أشعر بأي انتقاص، لم أحس بالعار، منحني الله قوة لجمت كل هواجسي.

على الطريق إلى الجامعة قال يامن:

- كي تستمتعي بالجنون، عليكِ تجاوز مرحلة الندم على أي تصرف أحدث سعادة في نفسك مهما بلغت ضوضاؤه في ذهنك.

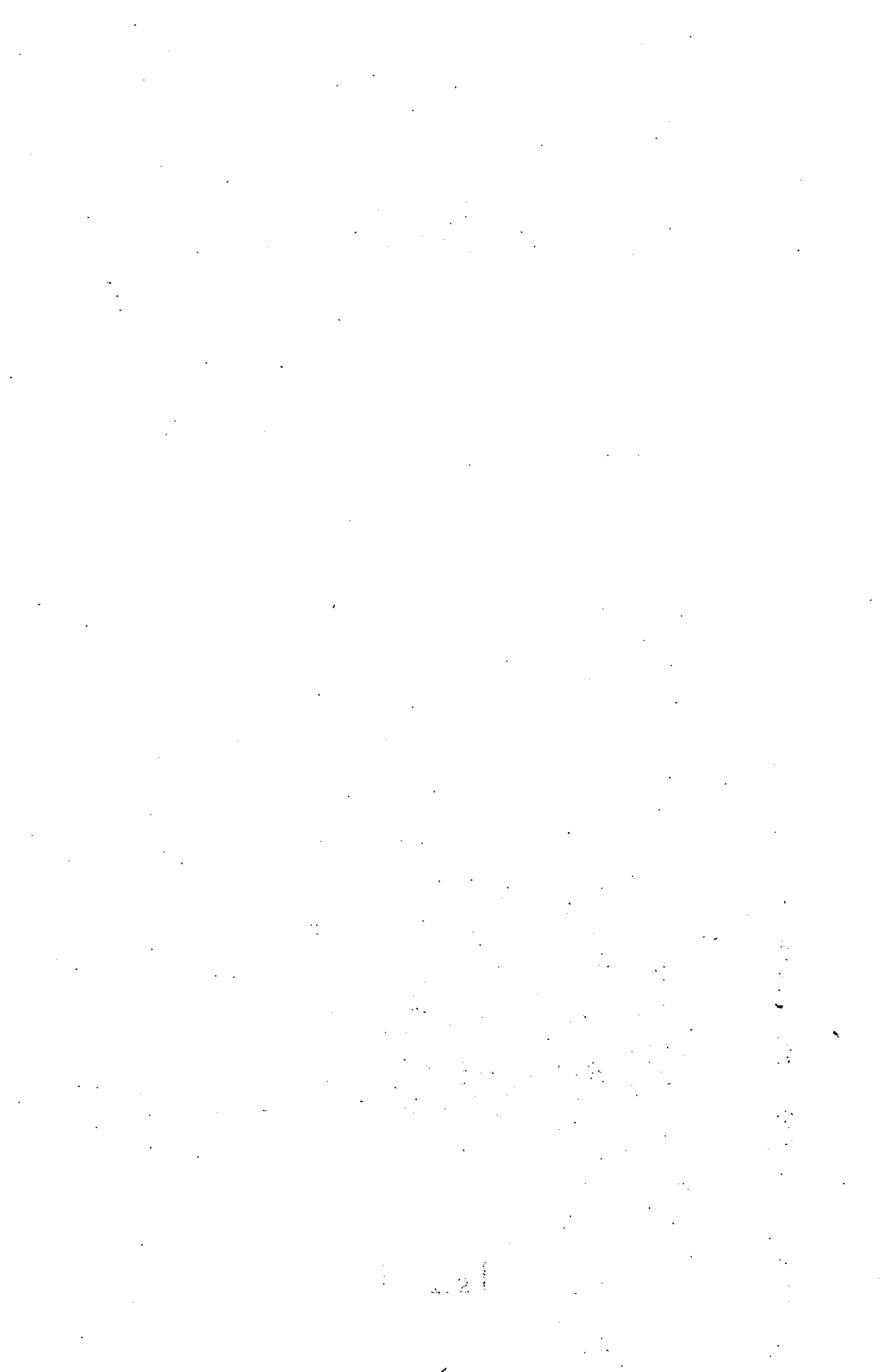
أومأت رأسي بالموافقة ولم أعلق..

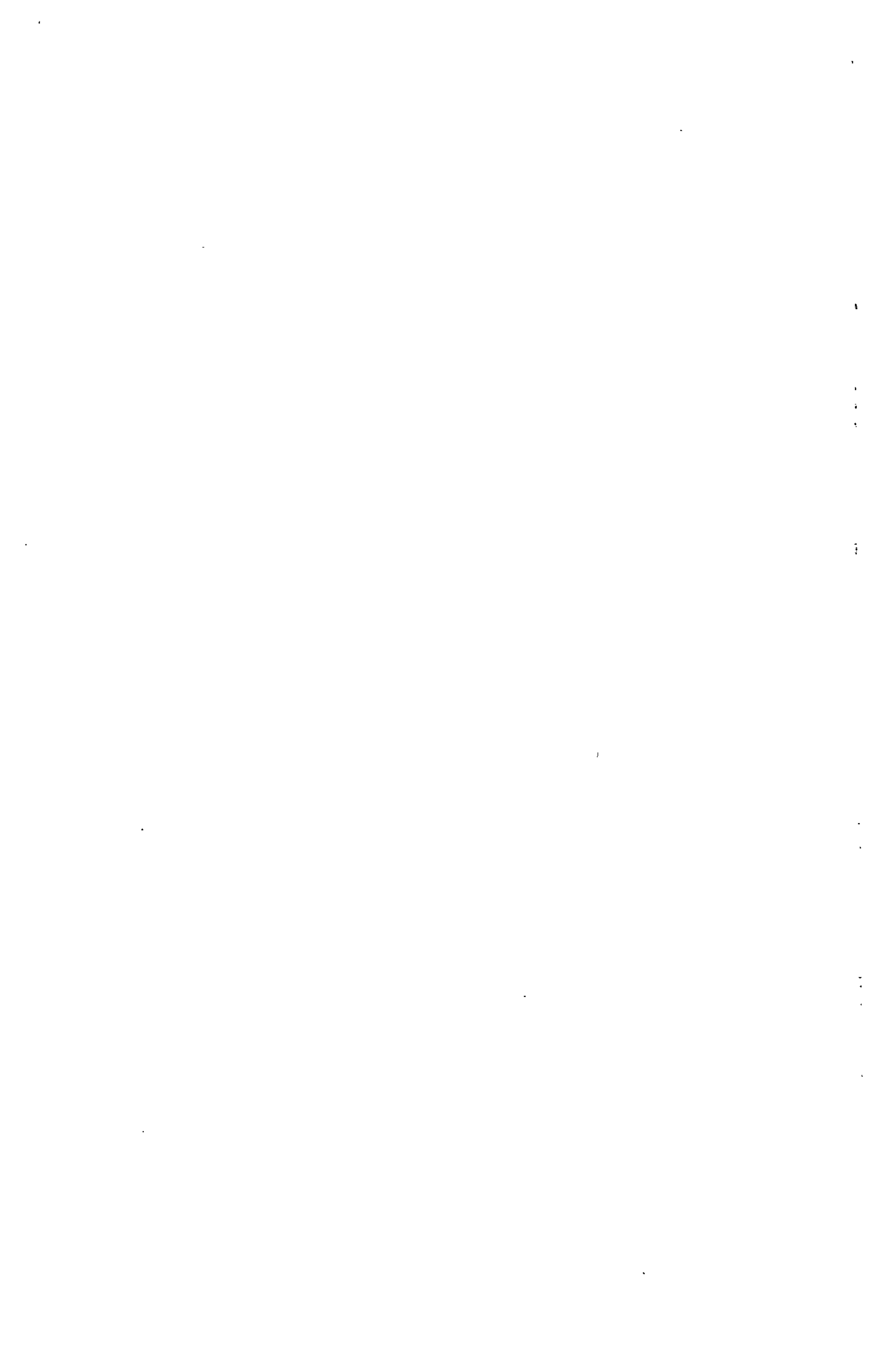
دخلنا الحرم الجامعي وبعد ذلك إلى محطة الحافلات، كان واضحًا أنّي تأخرت عن الحافلة وعلي استخدام المواصلات للوصول للبيت، لكني تصادفت بسماح في الطريق، عرضت علي الذهاب للمقهى ومن بعد ذلك ترافقني حتى الوصول للبيت بسيارتها الخاصة، كان عليها النزول إلى العاصمة حيث أسكن كي تستلم حوالة مالية من أهلها، وافقت وذهبت معها، أما يامن فكان وائل ومحمود ينتظراه.

عرفت من سماح أبعد ما يمكن لخيالي توقعه، قالت أن محمود عرف من يقف خلف الاعتداء عليه هو و وائل، سألتها عن المزيد من التفاصيل، قالت وملامحها ترتعش:

يامن على تواصل مع زوج نور، عشيقة محمود!

راحت نور تشهق وتبكي، لا شيء يمكنه ايقاف شلال دموعها، أما أنا، لا عزاء لي، منذ ساعة سلمت نفسي وجسدي ليامن ..







بدلت جلدي

تعالي..

لم أعد عصبيًا، لم أعد منفصم الشخصية، صرت سهلًا مثل إعراب الجملة الاسمية،لم أعد أنسى المسؤولية، صباح الخير وقُبلة، تصبحين على خير وحضني.

صرت صادقًا دومًا أقول الحقيقة، لا أنكث عهدي، ولا أؤجل وعدي، ولا أبيع القضية.

بدلت جلدي، تعالي ..

خذي الأسماء كلها، والقرارات كلها، خذي الحدائق والصباح، خذي المدن والموسيقي، خدي النسيم، خذي الندى، خذي قلبي ضحية، لن أبكيكِ ولن أكرهك كذبًا، ولن أرى في عينيكِ ضعفًا ولا كسرةً ولا بحرًا تضيع فيه الحيرة والعقد العصية..

خذيني كما يُؤخذ طفلٌ حديث الولادة.

اغضبي سأقول عفوك، اضحكي سأقول ما أجملك، اصرخي سأقول عاش جنونك، إمرضي سأمكث قربك، لكن تعالي..

بدلت جلدي وحفظت تاريخ ميلادك!

Cover by ahz_art





12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر
E-mail : daroktob1@yahoo.com
01111947957